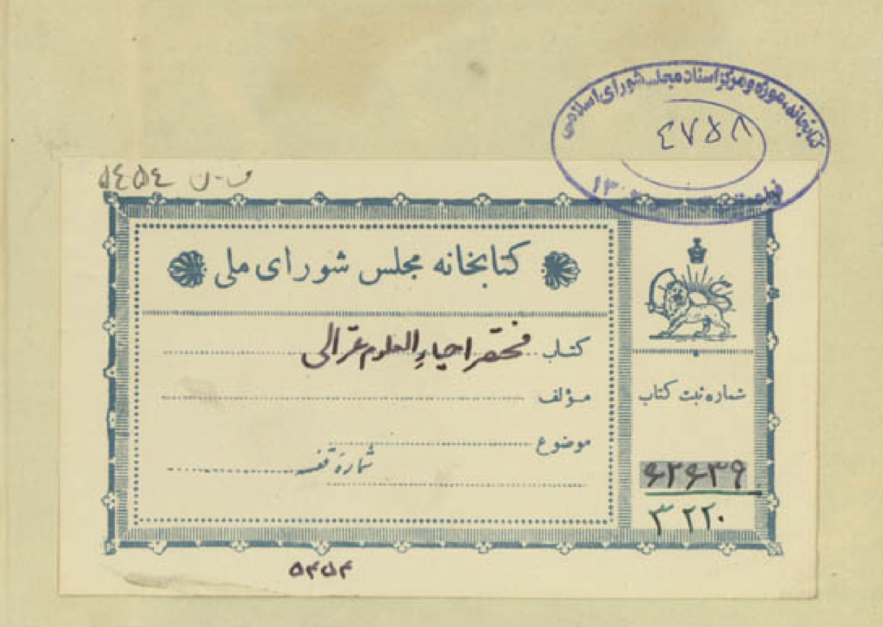
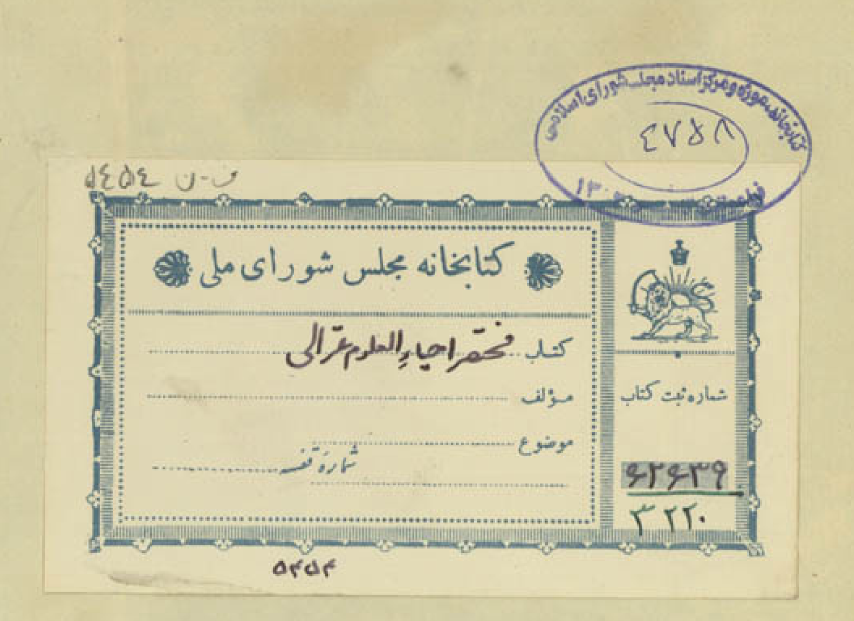
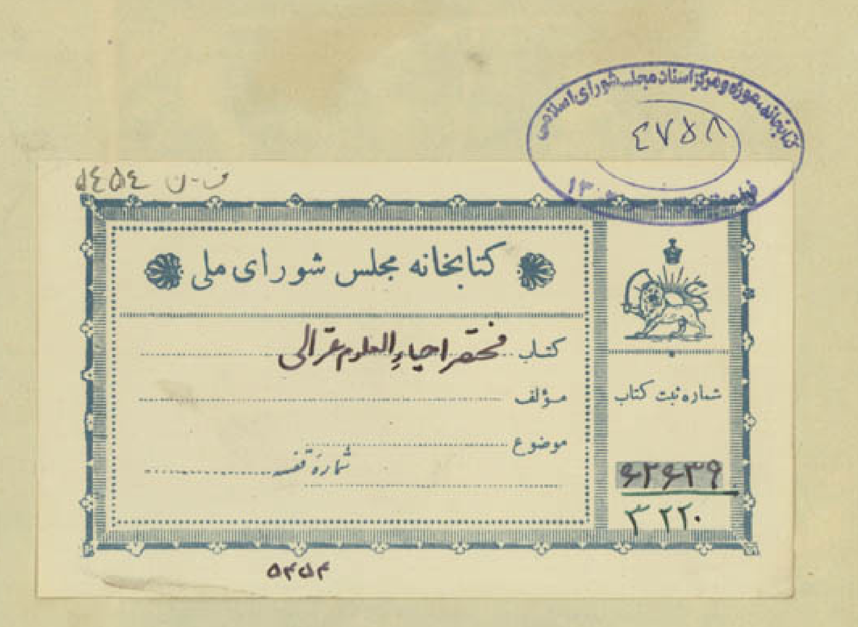



کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مختصر احیاء العلوم غزالی
مؤلف
موضوع
شارهٔ ثبت کتاب
۶۲۶۳۹
۳۲۲۰
۵۴۵۴
۴۷۸۸


کتابخانه، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
۴۷۵۸
ف-ن ۵۴۵۴
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مختصر احیاء العلوم غزالی
مؤلف
موضوع
شماره قفسه
شماره ثبت کتاب
۶۲۶۳۹
۳۲۲۰
۵۴۵۴


کتابخانه موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
۴۷۸۸
ف.ن ۵۴۵۴
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مختصر احیاء العلوم غزالی
مؤلف
موضوع
شماره قفسه
شماره ثبت کتاب
۶۲۶۳۹
۳۲۲۰
۵۴۵۴

۲۰

مختصر احیاء

والامر والخلايق مقهورون في قبضة خالق الخلق واعمالهم وقدر
ارزاقهم وآجالهم وانه عالم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
بل يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويدرك حركة
الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على مواجس الضماير
وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لا بعلم متجدد حاصل
في ذاته بالحلول والانتقال وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري
في الملك والملكوت قليل ولا كثير جزوي ونفع وضر وايمان وكفر
طاعة وعصيان الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة لعبد على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع
الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة
او يسكنوها دون ارادته ومشيته التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراد
في الازل من غير تقدم ولا تاخر حتى الموت لا بترتيب افكار وتربص
زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان وانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن
سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رويته مرئي وان دق يرى من
غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب
ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة وانه متكلم آمر وناه واعد موعد
بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث
من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة

لا تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة
على رسله وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ
في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال
والانتقال الى القلوب والاوراق وأن موسى سمع كلام الله تعالى بغير
صوت والحرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر والعرض فكان
حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات ولان كل موجود سواه فهو حادث
بفعله وانه حكيم في افعاله وانه عادل ولا يقاس عدله بعدل العباد
اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى
فان تصرفه في ملكه وانه تعالى احدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا
لما سبق من ارادته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه بعث الرسل واظهر
صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على
الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا
صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس
فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر
ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة
الرسول وهو قول محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه
من الدنيا والآخرة وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت
فاوله سؤال منكر ونكير شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فيسالانه

من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة
من بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل
وان جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر
تزل عليه اقدام الكافرين فتهوي بهم الى النار وتثبت به اقدام المؤمنين
فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود وهو حوض محمد
صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز
الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها نجوم السماء فيه ميزابان
يصبان من الكوثر وان يؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش
في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون
فيسال من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن
تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال
وان يؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم
موحد بفضل الله تعالى وان يؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء اخرج بفضل الله تعالى
فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من
الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد
الرسل والانبياء ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين وان
يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم
اجمعين وكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد

ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع صح

جميع ذلك موتنا بما كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط

الضلال وحزب البدعة اعلم ان العلوم بعضها جلي يبلغه أوائل

وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والفكر الصافية والسر الخالي عن كل شيء

من اشغال الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا

وحدا ومطلعا وقال عليه السلام نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس

على قدر عقولهم وقال عليه السلام ما حدث احد قوما بحديث لم يبلغه عقولهم

الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها

الا العالمون وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات

ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني وفي

لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال النبي عليه السلام ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام

وصلوة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك من قواعد الدين لم يكن

خافيا بظواهرها على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلثة علوم علم

ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم

هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء

سر الربوبية كفر وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل

سبيلا الى معرفته الا العجز عن معرفته

الكتاب الثالث

في اسرار الطهارة واعلم ان للطهارة اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث

والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب

عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابع تطهير السر عما سوى الله

وهي طهارة الانبيا والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل

الذي فيها قال النبي عليه السلام الطهور نصف الايمان فان الغاية

القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة

الله في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى ولذلك قال الله تعالى قل

الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في القلب واما عمل القلب فالغاية

القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها

ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة

وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات فكان الطهور

شطر الايمان بهذا المعنى فسيرة المولين استغراق همتهم في تطهير

القلوب وتساهلهم في امر الظاهر وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة

يسمون البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فاشتغلوا

بتزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون

بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق وينبغي للمترقي

اذا فرغ عن وضوءه واقبل على الصلوة ان يخطر بباله انه طهر

ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله من غير

تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب

الكتاب الرابع اسرار الصلوة

اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات

سئل النبي عليه السلام اي الاعمال افضل فقال الصلوة قال عليه السلام

مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه

كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فان

الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء بالدرن وقال سعيد بن

المسيب من صلي بارض فلاة صلي علي يمينه ملك وعلي شماله ملك

فاذا اذن واقام صلي وراءه امثال الجبال من الملائكة وروي ان

السلف كانوا يعزون ثلثة ايام اذا فاتت احدهم التكبيرة الاولي ويعزون

سبعا اذا فاتتهم الجماعة وقالت عائشة رضي الله عنها

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة

فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال حسن رحمه الله عليه

كل صلوة لا يحضر فيه القلب فهي الي العقوبة اسرع وقال بعضهم الصلوة

من الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وسئل بعضهم عن

ان تذكر في صلوته شيئا فقال هل شيء احب الي من الصلوة فاذكره

فيها وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وكان ابو الدرداء يقول

من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة

وقلبه فارغ وسئل ابو العالية عن قوله تعالي الذين هم عن صلوتهم ساهون

قال الذي يسهو في صلوته فلا يدري علي كم انصرف علي شفع او علي

وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتي يخرج وقال بعضهم

هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت

لم يحزن فلا يري تعجيلها برا ولا يري تاخيرها اثما واعلم ان الخشوع

ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه وتعالي

ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوة

وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالي

علي العبد ومعرفة جلاله روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الي السماء اربعين

سنة حياء من الله وخشوعا وكان ربيع بن خثيم من شدة غضه البصر واطراقه

يظن بعض الناس انه اعمي وكان يختلف الي منزل ابن مسعود عشرين

سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمي قد جاء

فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية

اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر

المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك وفي لفظ اخر لاحبك واعلم

ان يوم الجمعة يوم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين قال كعب

ان الله تعالي فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن

الايام الجمعة قال عليه السلام خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة

فيه خلق ادم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الي الارض

وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميته الملائكة في السماء

وهو يوم النظر الي الله تعالي في الجنة وقال عليه السلام ان الجحيم

تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا

في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لا تسعر فيه وكانت

في القرن الاول تري الطرقات سحرا وبعد الفجر مملوة من الناس

يمشون في السرج ويزدحمون فيها الي الجامع كايام العيد حتي اندرس

وذكرت السرقة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابي السرقة ربع فقالوا الله ورسوله اعلم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اربع السرقات يسرق الرجل من صلوته قالوا كيف الرجل صلوته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها من العوارف

ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الي الجامع
وعن عمر رضي الله عنه انه قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان
كانوا مرضي فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم وقال عليه السلام ويل للعالم
من الجاهل حيث لا يعلم

الكتاب الخامس في اسرار الزكوة

اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف ذكرها
الصلوة التي هي اعلي الاعلام فقال تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وشدد الوعيد علي المقصرين فيها فقال الله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعني
الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت
في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم
يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم [illegible]
ان الناس في بذل الاموال ينقسمون الي ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد
ووفوا بعهده وبذلوا جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما ولهذا جاء ابو بكر
رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم لعمر ماذا ابقيت
لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله
فقال عليه السلام بينكما ما بين كلمتيكما والصديق وفي بتمام الصدق فلم
يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله والثانية درجتهم دون
هذا وهم الممسكون اموالهم ويكون قصدهم في الادخار الانفاق علي قدر الحاجة
دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الي وجوه البر ومواسات الفقراء

علي

علي اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب
واعلم ان صدقة السر افضل من الرياء والسمعة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منان فان اظهرها ترغيبا للناس
في الاقتداء فينبغي ان يحترس سره عن داعية الرياء قال الله تعالى ان
تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم وقال الله تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قيل المن ان يذكرها والاذى ان
يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال
ان يذكره ويتحدث به وقيل ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى
ان ينتهره او يوبخه بالمسئلة فاصل المن ان يرى نفسه محسنا اليه
ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله منه فانه
لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه
نائبا عن الله في قبض حقه وقال عليه السلام ان الصدقة تقع
بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الي الله
حقه والفقير آخذ من الله رزقه وكان بعضهم يضع الصدقة بين
يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبول ذلك حتى يكون
هو في صورة السائلين وكان بعضهم يبسط كفه لياخذ الفقير من كفه
ليكون يد الفقير هي العليا وينبغي للآخذ ان يكون صادقا في نواه
وعلمه بالتوحيد وتوحيده اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره
ورأى النعمة كلها منه ثم ينظر الي واسطته فلا [illegible]

واختلفوا في حقيقة المن والاذى

التقلد [illegible]

وهو ان يري النعم كلها منه ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم
ولما نزلت برأة عايشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر
الصديق قومي فقبلي رأس رسول الله فقالت والله لا افعل ولا
احمد الا الله فقال الرسول دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي
بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ولم ينكر رسول الله ذلك
مع ان الوحي وصل اليها علي لسان رسول الله ورؤية الاشياء
من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالي واذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه
اذا هم يستبشرون وينبغي ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون
شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله
اليه والطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي
في رؤية النعمة من الله فقد قال عليه السلام من لم يشكر الله وقد اثني الله تعالي
علي عباده في مواضع علي اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله تعالي
نعم العبد انه اواب الي غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله تعالي
قلبك في قلوب الابرار وزكي عملك في عمل الاخيار وصلي علي روحك
في ارواح الشهداء وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فان من لا يري
الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يري الواسطة اصلا قال
عبد العزيز بن عمير الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك
باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال النبي صلي الله عليه وسلم

ما المعطي من سعته بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل
المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي
الذي يقصد باعطائه عمارة دينه

الكتاب السادس في اسرار الصوم

اعلم ان الصوم باب العبادات لقوله عليه السلام لكل شيء باب وباب
العبادة الصوم وقال وكيع في قوله تعالي كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية هي ايام الصوم اذ تركوا فيها الاكل والشرب واعلم ان الصوم
ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص
فاما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله
واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد وساير الجوارح
عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية
والافكار الدنيوية وكفه عما سوي الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم
بالفكر فيما سوي الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان
ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتي قال ارباب القلوب من تحركت
همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك
من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة
الانبياء والصديقين والمقربين ولما تلا رسول الله قوله تعالي ان الله يأمركم
ان تؤدوا الامانات الي اهلها وضع يده علي سمعه وبصره فقال السمع امانة
والبصر امانة

الكتاب السابع في اسرار الحج

قال الله تعالي واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلي كل ضامر

يأتين من كل فج عميق وروي ان ابرهيم عليه السلام لما فرغ من
بناء الكعبة اتاه جبريل عليه السلام وقال اذن في الناس بالحج فقال
عليه السلام كيف انادي وانا بين الجبال وليس بحضرتي احد فقال الله تعالى
عليك النداء وعلي البلاغ فصعد جبريل ابي قبيس وصعد الحجر الذي
هو مقامه فارتفع الحجر حتى علا كل حجر في الدنيا وجمع الله تعالى له الارض
كالسفرة ونادى فقال يا معشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوا
فحجوه فاجابه مرة بحجة مرة ومن اجابه عشر مرات يحج عشر مرات قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا
وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل اهل عرفة
وهو افضل يوم في الدنيا فيه حج رسول الله عليه السلام حجة الوداع فكان
واقفا اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا يوما لجعلناه يوم عيد فقال
عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم
جمعة على رسول الله عليه السلام وهو واقف بعرفة وقال عليه السلام اللهم
اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج واعلم انه لا وصول الى الله سبحانه
الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات
فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا
انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال
وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله وتركوا لله اللذات الحاضرة

رب تال للقرآن يلعنه وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن
ثم خلط ثم عاد يقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال بعض السلف اقرأ
القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال بعض العلماء ان
العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة الله على
الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم
واعلم انه ينبغي للقاري ان يكون على الوضوء واقفا على
هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه
غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة المتكبر ويكون جلوسه وحده
كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأه في الصلاة قائما
وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير
وضوء وان كان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك
قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على
الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال
علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف
مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة
ومن قرأ في غير الصلاة وهو على الوضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ
على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل
وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان
وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب وكان نافذ الفكر

والربط لنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثني الله عليهم
في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس
ذلك واقبل الخلق علي اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالي
وفتروا عنها بعث الله سبحانه محمدا عليه السلام احياء طريق الاخرة وتجديد
سنة المرسلين في سلوكها فساله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة
في دين الله تعالي فقال عليه السلام ابدلنا بها الجهاد والتكبير كل شرف
يعني الحج قد جاء في فضل زيارته عليه السلام قوله من زارني بعد وفاتي
وكانما زارني في حيوتي وقوله من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا
علي الله ان اكون له شفيعا

الباب الثامن في اداب تلاوة القران

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راي ان
احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلي الله عليه وسلم
ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القران لا نبي ولا ملك
ولا غيره وقال عليه السلام افضل عبادة امتي قراة القران وقال
خيركم من تعلم القران وعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا اردتم
علم الاولين والاخرين فاثيروا القران وقال احمد بن حنبل رايت الله
عز وجل في منام فقلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم او بغير فهم
وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القران من الرحمن عز وجل
يوم القيامة فكانهم لم يسمعوه قط وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه
ينبغي لحامل القران ان لا يكون حوائج الخلق اليه وقال انس بن مالك

احد حاجة والي الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون

في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الي كثرة الترديد
والتامل ومن ختم القران في الاسبوع مرة يقسم القران بسبعة احزاب
فقد روي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة الي
المائدة وليلة السبت بالانعام الي هود وليلة الاحد بيوسف الي مريم
وليلة الاثنين بطه الي طسم موسي وفرعون وليلة الثلثاء بالعنكبوت الي
ص وليلة الاربعاء بتنزيل الكتاب الي الرحمن ويختم ليلة الخميس وينبغي
ان يقول عند ابتداء قراته اعوذ بالله من الشيطان الرجيم رب اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقرا قل اعوذ
برب الناس وسورة الحمد ويقول عند فراغه من كل سورة صدق الله
وبلغ رسول الله صلعم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد
لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وينبغي في اثناء القران اذا مر
باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان
مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه
فيقول سبحان الله تعالي نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا ويدل علي
استحباب الاسرار ما روي انه صلي الله عليه وسلم قال فضل قراة السر علي
قراة العلانية سبعين ضعفا وكان كثير من الصحابة يقرؤن من المصحف
ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف وينبغي ان يحسن القراة
ويزينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة
قال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران فقيل اراد به الاستغناء

وقيل اراد به التحزن وهو اقرب عند اهل اللغة وروي انه عم
كان ينتظر عايشة رضي الله عنها فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت
يا رسول الله كنت اسمع قراة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلعم
حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله
الذي جعل في امتي مثله وقال عليه السلام زينوا القران باصواتكم
وقال عم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم
القيامة وجا عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا
في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع وينبغي للتالي ان يكون
له فهم اصل الكلام والتعظيم وحضور القلب والتدبر والتفهم والتخلي
عن موانع الفهم والتخصيص والتاثر والترقي والتبري الاول
فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله
عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة
الحروف لما ثبت بسماع كلامه عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة
سلطانه وسبحات انواره وقال بعض العارفين ان كل حرف من
كلام الله تعالى في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملايكة لو اجتمعت على
الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح
فيرفعه فيقله باذن الله تعالى ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى
طوقه ذلك واستعمله به الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية
بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان

ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله تعالى غاية الخطر فانه تع
قال لا يمسه الا المطهرون فكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس
عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم
عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس
مستنيرا بنور التعظيم والتوقير الثالث حضور القلب وترك حديث
النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه
بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل
ان في القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا
وخانات فالميمات ميادين القران والواوات بساتين القران
والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القران والحاميمات ديابيج
القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا جال
القاري في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير
وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات
استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره
الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران
ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود
من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر
ليتمكن من التدبر بالباطن الخامس التفهم وهو ان يستوضح
من كل آية ما يليق بها فمن لم يكن فهم في القران دخل في قوله تعالى

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين
اوتوا العلم ماذا قال انفا اوليك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع
هو المانع من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن
ما يريد ويعرف منه النقصان من المريد ويستغني بالمولى عن العبيد
السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن
فهم معاني القرآن ~~من جملة الملكوت~~ لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت
عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن
من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة
فهو من الملكوت السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود
بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور
وان سمع وعدا ووعيدا فكمثله قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن
فكانما كلمه الله عز وجل الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار
مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد
يتصف به من الحزن والخوف والرجا وغيره وكان شغل الصحابة
في الاحوال والاعمال فمات رسول الله عليه السلام عن عشرين الفا
من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين
وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة
والانعام من علمائهم وحظ تلاوة القرآن ان يشترك فيه اللسان

والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل
تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والائتمار التاسع
الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه
وقال جعفر بن محمد الصادق والله لقد تجلى الله في كلامه لخلقه
ولكن لا يبصرون ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر
مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية
على قلبي حتى سمعتها من المتكلم فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وقال عثمان
وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها
بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام فمن لم ير في كل شي الا غيره
وكلما التفت الى نفسه العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل
التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شي الا الله العاشر التبري
واعني به ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا
والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند
ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله تعالى
بهم واذا تلا آية المقت وذم العصاة والمقصرين يشهد نفسه هناك
ويقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا واعلم ان المكاشفات لا تكون
الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تختص
هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف بحيث ان يتلو آيات الرجاء ويغلب
على حاله الاستبشار فتنكشف له صورة الجنة ويشاهدها كانه يراها عيانا

وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى عذابها وقال
سليمان بن ابي سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر
عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له
وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك
بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان
اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر
رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها
واعلم ان الاخبار والآثار تدل على ان معاني القرآن متسع
لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب وقال عليه السلام ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا
ومطلعا وقال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من
فهمها اكثر وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم
وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم الى التدبر ويكون لكل واحد حد في الترقي
الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار
اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات
الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة
ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه

الكتاب التاسع الاذكار والدعوات

قال الله تعالى اذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني
ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال الله تعالى

فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن
عباس رضي الله عنه اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر
والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال الله تعالى ولذكر الله
اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اعظم من ذكركم اياه
والآخر ذكر الله اكبر من عبادة سواه وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه دخل
السوق وقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد
فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة
ما رأينا ميراثا يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن
القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله عز وجل هل جزاء
الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة
وكذا قوله سبحانه وتعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال عمر رضي الله عنه
من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتبت له الف الف حسنة
ومحيت عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة وروي ان رجلا جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات
يدي فقال رسول الله صلعم فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح
الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا كل يا رسول الله فقال
قال قل سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه ما بين
طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح يأتيك الدنيا راغمة صاغرة

ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيمة
ولك ثوابه وقال عليه السلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان
يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وينبغي ان
يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من
الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون وقيل ان يعقوب صلوات الله عليه انما
قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام وقت
السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لهم
وجعلتهم انبياء وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند
زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة
الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت
في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال سلمان قال رسول الله صلعم
ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا
وروى انس انه صلعم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء
وقال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلعم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما
حتى يمسح بهما وجهه وقال عليه السلام لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم
الى السماء عند الدعاء او ليخطفن ابصارهم وقالت عائشة رضي الله عنها
في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله

على نبيه حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال الله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فقيل معناه التكلف للاسجاع وقال
سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل
اجاب شر الخلق ابليس عليه اللعنة اذ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان صلعم
اذا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وقال النبي صلعم اذا سال احدكم ربه مسالة
فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه
من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال قال ابو سليمان الداراني
من اراد ان يسال الله عز وجل حاجته فليبدا بالصلوة على النبي صلعم
ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلوتين وهو اكرم
من ان يدع ما بينهما وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله حاجة
فابدؤا بالصلوة علي فان الله اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احديهما
ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي والاصل في الاجابة التوبة ورد
المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة وقال النبي عليه السلام اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وقال عليه السلم من اذنب ذنبا
فعلم ان الله تعالى قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفره وقال الفضيل
استغفار بلا اقلاع توبة الكاذبين وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار
على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وقالت رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي

الا اعلمك عشرة كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله بهن
وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما ردها علي
بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الحليم القوي
لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم
عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسائلة في القبر حسبي الله الكريم
عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله
القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

الكتاب العاشر في ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه
لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا به وان المحبة
والانس لا تحصل الا بدوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل
الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله عز وجل
وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها
بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل
والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة
والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر
بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله عز وجل
لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى
فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت ليتغزر بالانتقال لذتها ويعظم باللذة

رغبتها

رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك يقسم الاوراد قسمة مختلفة
والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة
الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها
المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا
لموافقتها للطبع ويكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ
الظاهر والباطن تساعد على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد
واما الرد الى العبادات فمتكلف لا يسلم اخلاص القلب وحضوره
الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق
ومن اراد ان يترجح كفة حسناته ويثقل موازين خيراته فليستوعب في
الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء
غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده
وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله
فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله وان لك في النهار سبحا طويلا واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه
وادبار النجوم فالآيات دالة على ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات
وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام وينبغي ان يقرأ المسبعات العشر
التي اهداها الخضر الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقرأها غدوة وعشية
فقد روى عن كرز بن وبرة من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل

الشام فاهدي الي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية
فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال
اعطانيها ابراهيم التيمي قلت افلم تسال ابراهيم من اعطاه قال بلى
فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد
فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها
ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله
من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء
جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي
هدية اريد ان اهديها لك فقلت وما هي فقال هي ان تقرا قبل
طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب الحمد لله وقل
اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد
وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمومنين والمومنات سبعا وتستغفر
لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا
في الدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك
غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع غدوة وعشية
فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه الهدية فقال اعطانيها
محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلعم

امد الخضر

فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه رأى ذات يوم في منامه
كان الملائكة جاءته فحملته حتى ادخلته الجنة فرأى ما فيها ووصف
امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله
فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها
قال فاتاني النبي صلعم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة
كل صف ما بين المشرق الى المغرب فسلم واخذ بيدي فقلت يا رسول الله
ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما
يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود
الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل
الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني
بالحق انه ليعطي العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر
التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب
عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا
الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم
التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا

اي فلعله ترك تناول الطعام والشراب

واعلم ان المقصود من الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته
بذكر الله تعالى والايناس به قال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه
نعيم اهل الجنة الا ما تجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها

لا دليل الا ... لا يجدها سواهم وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت
بالظلام لخلوتي في ربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس فلينظر المريد
الي قلبه فايراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه
فلينتقل الي غيره لان الملال هو الغالب علي الطبع ولذلك الاصوب
لاكثر الخلق توزيع الخيرات المختلفة علي الاوقات فاما الموحد المستغرق
بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف
الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شي الا يري الله فيه
فمن ارتفعت رتبته الي هذه الدرجة لم يفتقر الي اختلاف الاوراد
بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل
حال فلا يخطر بقلوبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح
الا كان لهم عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فلا يتميز عندهم
عادة عن عبادة وهم الذين فروا الي الله كما قال الله تعالي ففروا
الي الله وتحقق فيهم قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا
الي الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب
الي ربي سيهدين وهذه منتهي درجات الصديقين ولا وصول اليها
الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر
المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف
عبادة الله تعالي فان علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر
بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاحوال ولا يستفزه عظائم الاشغال

ولا يرزق هذه الرتبة كل واحد وجميع ما ذكرناه طرق الي الله
عز وجل قال الله تعالي قل كل يعمل علي شاكلته فربكم اعلم بمن
هو اهدي سبيلا وكلهم مهتدون وبعضهم اهدي وفي الخبر الايمان ثلثمائة
وثلث وثلثون طريقة من لقي الله تعالي بالشهادة علي طريق منها
دخل الجنة فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم علي
الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما
يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الي الله عز وجل اعرفهم
به واعرفهم لابد ان يكون اعبدهم ... والمصلح الموردات في كل صنف
المداومة فان المداومة تغيير ... الباطن واعلم ان الليالي المخصوصة
بمزيد الفضل التي يتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة
لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومتي غفل المريد
عن فضل الاوقات لم يربح تجارته ... هذه الليالي في شهر رمضان
وهي اوتار العشر الاخير فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من
رمضان وقال ابن الزبير هي ليلة القدر اما التسع الاخر فاول
ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف منه
وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلي الله عليه وسلم
للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلي فيها اثنتي عشرة ركعة
يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل
ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله

لا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي عم
مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله تعالى
يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان
ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وليلة عرفة
وليلة القدر وليلتا العيد واما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب
مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشورا ويوم سبعة وعشرين من رجب له
شرف عظيم قال صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب
كتب له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل عليه السلام
على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويو[illegible] ويوم النصف
من شعبان ويوم العيدين [illegible] عشر ذي الحجة
والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا
سلم شهر رمضان سلمت السنة ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس
والاثنين يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى واعلم ان الخير يدعو
الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد ينجر
الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا يفوت احدا صلوة
جماعة الا بذنب وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب
اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا بكا فقلت في نفسي
هذا مراء وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى

عن الصلوة وسائر الخيرات واعلم ان المستغرق الهم بتدبير الدنيا
لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته وفي مثل هذا
يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم واعلم ان في الخبر الصحيح
عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل
ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وذلك كل
ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة
القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وشكا بعض المريدين الى استاذه
طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه نعم الحيلة
يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المستيقظة
وتخطي القلوب النائمة تعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ لتي
لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى
لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل والله اعلم بالصواب

الكتاب الاول من ربع العادات في آداب الاكل

واعلم ان الاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول
الدين فاذا اراد ان ياكل يغسل يده قبل الاكل وبعده لقوله عم
الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر
قبل الطعام وبعده ويضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض
فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويذكر

يقال يا بنا لفلان نفحات من المعروف

من التشوف بسفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى قال انس ما اكل
رسول الله عليه السلام ... الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم
ان كل ما ابدع بعد الرسول ليس منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة
ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض
الاحوال اذا تغيرت الاسباب ويجلس للاكل كما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه جثى على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى
وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انا عبد آكل كما يأكل
العبيد واجلس كما يجلس العبيد والشرب متكئا مكروه ويكره الاكل
نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه
اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه وينوي
بأكله ان يتقوى على طاعة الله عز وجل ليكون مطيعا بالاكل
لا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل وينبغي ان لا يمد اليد الى الطعام
الا وهو جائع ويرفع اليد قبل الشبع وقد ورد الامر باكرام الخبز ومن اكرامه
ان لا ينتظر به الادام بل لا ينتظر بالخبز الصلوة اذا كان في الوقت توسع
قال عليه السلام اذا حضر العشاء والعشاء فابدأوا بالعشاء وكان ابن عمر
رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الامام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت
النفس لا تلتفت الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم
الصلوة ويجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده فقد
ورد في الخبر اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس رضي الله عنه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده ويبدأ بسم الله
في اوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله
الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله
الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمين
ويبدأ بالملح ويختم ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد
الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل ولا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم
لا يعيب ماكولا ان اعجبه اكله والا تركه ويأكل مما يليه الا الفاكهة فان
له ان يجيل يده قال عليه السلام كل مما يليك ثم كان يدور في الفاكهة
فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا ولا يأكل من القصعة
ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز
فيكسر ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم بالسكين ايضا فقد نهي عنه
وقال انهشوا نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيره الا ما يؤكل به فقال
عليه السلام اكرموا الخبز فان الله تعالى انزله من بركات السماء ولا يمسح
يده بالخبز وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط عنها
ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق
اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في طعام الحار فهو منهي
عنه ويأكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين
ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع من فيه على
ظهر كفه ثم يلقيها وكذا ما له عجم وثفل وما استرذل من الطعام لا يطرح

العجم بفتح العين وسكون الجيم دانه انكور

في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله ولا
يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد
يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة **اما الشرب** فادبه
ان ياخذ الكوز بيمينه ويشرب في ثلاثة انفاس يسمي الله عز وجل في
اولها ويحمد الله تعالى في اواخرها ويقول في اخر النفس الاول الحمد لله
وفي الثانية يزيد رب العالمين وفي الثالثة يزيد الرحمن الرحيم
ويشرب مصا لا عبا قال عليه السلام مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان
الكباد من العب ولا يشرب قايما ولا مضطجعا ويراعي اسفل الكوز حتى
لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتنفس في الكوز وقال
عليه السلام بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله
ملحا اجاجا بذنوبنا وقد شرب عليه السلام دايما مرة ولعله لعذر والكوز وكل
ما يدار على قوم يدار يمنى ويستحب بعد الطعام ان يلعق اصابعه
ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من
اكل ما يسقط من المايدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع
ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه بلسانه
اما المخرج بالخلال يرميه ويتمضمض بعد الخلال فيه اثر عن اهل البيت
ويلعق القصعة فقال من لعق وشرب ماءها كان له عتق رقبة
وان التقاط الفتات مهر الحور العين ومهما اكل حلالا قال الحمد
لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا

فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا
تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف
قريش ولا يقوم من المايدة حتى ترفع لقوله فان اكل طعام غيره فليدع له
وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما
اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم
الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة وليكثر الاستغفار
والحزن على ما اكل من شبهة ليطفي بدموعه وحزنه النار التي تعرض
لها ولا يسكت على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ويتحدث بحكايات
الصالحين ويقول لاكيله كل ولا يزيد على ثلاث مرات فان ذلك الحاح
وافراط وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما
الحلف عليه بالاكل فممنوع ولا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل
ولا ينبغي ان يدع شيا مما يشتهيه لاجل نظر غيره اليه فان كان ذلك
تصنع ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن يتعود نفسه حسن الادب
في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع ولو قلل من الكل
ايثارا الاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن واذا قدم الطست
اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام
فقدم انس الطست اليه فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل
كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
الى الاجناد لا ترفعوا الطست من بين يدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا

بالعجم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اجتمعوا على غداء البلد ناطت
واحد ولا تشتغلوا بسنة الاعاجم وفي الطست سبعة اداب ان يجري فيه
وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمينه ولكن
يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قايما ويرسل
من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وينبغي
ان لا ينظر الى اصحابه بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل
اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده ولم يمتنع بسبب فليعتذر
اليهم دفعا للخجلة عنهم ولا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه
عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام
واخذه بيساره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة
والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات قال جعفر بن محمد الصادق رض
اذا تعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب
عليكم من اعماركم وفي الخبر لا يحاسب العبد ما ياكل مع اخوانه وكان
بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وقال عليه السلام
اذا جاءكم الزاير فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى ظهورها
من بطونها من ظهورها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى
بالليل والناس نيام وليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت
طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه
قال الله تعالى ولا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام

١٩

غير ناظرين اناه ولكن ان صادفهم على الطعام من غير تربص الاكل
ثم يؤذن له فاذا قيل كل نظر فان علم انهم يقولون حياء منه فلا ينبغي
ان ياكل بل يتعلل اما اذا كان جايعا فقصد بعض اخوانه ليطعم ولم يتربص
وقت اكله فلا باس به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما
منزل ابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب الانصاري لاجل طعام وهي
عادة السلف وجاء قوم الى منزل ابي سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا
الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول
ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وقال سلمان امرنا رسول الله صلعم
ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وروي
ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلث شرايط
لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال فقال
بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبق ولا
تذر وفي حديث يونس صلوات الله عليه انه زاره اخوانه فقدم اليهم
كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تعالى لعن
المتكلفين لتكلفت لكم قال بعضهم الاكل ثلثة مع الفقراء ومع الاخوان
بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب وقال عليه السلام من لذذ اخاه
بما يشتهي كتب الله تعالى له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة
ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلثة جنان جنة عدن وجنة
الفردوس وجنة الخلد وقال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل

اما كل واقدّم اليك ولكن قلم فان اكل فذاك والا فارفع وقال عليه السلام
لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله
ومن ابغض الله وقال عليه السلام شر الطعام طعام الوليمة يدعي اليها
الاغنياء دون الفقراء وقال سفيان من دعا الى طعام وهو يكره الاجابة
فله خطيئة فان اجاب المدعو فله خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهته
ولو علم ما كان يأكل واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق
تقوية له على الفسق قال خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين
فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة
من يبيع منك الخيط والابرة واما انت فمن الظلمة نفسهم واما الاجابة
فهي سنة مؤكدة وقيل بوجوبها قال عليه السلام لو دعيت الى كراع
لاجبت ولو اهدي الى ذراع لقبلت ولا يميز الغني بالاجابة عن الفقير
فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل
الاجابة وقال انتظار المرقة ذل ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء
دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة المسكين
وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب
الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام
الطعام وادخال السرور على قلب المؤمنين فمن فعل ذلك مباهاة
وتكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال
بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم

اليك وديعة كانت لك عنده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحضر ليعلم بان الداعي يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه
في الدنيا والآخرة وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان في اهمالهم
ايحاشا وقطع رحم وكذلك في اصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض
ايحاش الباقين يقال في التورية او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا
سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال
زر اخا في الله تعالى ولا يمتنع عن الاجابة لكونه صائما بل يحضر فان كان
يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور
على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وقال عليه السلام لمن امتنع بعذر
الصوم تكلف لك اخوك فتقول انا صائم ويمتنع عن الاجابة ان كان
الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان
منكرا من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط
او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع من اللهو واللعب
فكل ذلك مما يمنع الاجابة وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا
او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر فاذا دخل الدار ورأى منكرا
اعترض ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف وينوي بالاجابة الاقتداء بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واكرام المؤمن وادخال السرور على قلبه فالنية
انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان
يسر اخوانه بما عاونهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز

ان يقال الاعمال بالنيات بل لو تمهل بالغزو الذي هو طاعة
للمباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وينبغي ان لا يطول
الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجيهم قبل تمام الاستعداد فيجلس
حيث اشار اليه صاحب الدار ولا يخالفه البتة وان اشار اليه بعض
الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع وقال عليه السلم ان من التواضع
لله الرضا بالدون من المجلس ينبغي ان يقلل من الطعام قدر الكفاية
فان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع
ورياء احضر ابرهيم ابن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان
يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون سرفا فقال ابرهيم ليس في الطعام
سرف فان لم يكن هذه النية فالكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه
نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة
اكل طعام المباهاة فيخرج مع الضيف الى باب الدار سنة قال عم
ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار ولا يزيد الضيف
الاقامة على ثلثة ايام قال عليه السلم الضيافة ثلثة ايام فما زاد فصدقة
حكي عن حذيفة المرعشي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر
دراهما الى الجلاخادم وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت
خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي عليه السلم لشيء اللهم بارك لنا فيه
وزدنا فيه سوى اللبن فاشتريت اللبن فاشتريت تمرا جيدا فقدمت
اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر اتدرون لم لم يقل كل لانه

السرف خلاف القصد

الوداية

ليس للضيف ان يقول للصاحب الدار كل اتدرون لم حمل
ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضره الحمل وحكي ابو علي الروذباري
عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد
اسرفت فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل
فلم يقدر على اطفاء واحد فانقطع قال الشافعي رحمه الله الاكل على
اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلث
من السنة وباربع من الشره والنوم على اربعة انحاء فنوم على
القفاء وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض
ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعبلا ونوم على الشمال وهو
نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين
واربع يزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة
الصالحين والعلماء

الكتاب الثاني في اداب النكاح

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه
حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف اخرون
بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس
الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون
الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذا لم يكن
الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه
الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب فيه

ليهضم

التوقان آرزومند شدن

والترغيب عنه اما الآيات فقول الله تعالى وانكحوا الايامى منكم
وهذا امر وقال الله تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
وهذا منع العضل ونهي عنه ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من
الانبياء الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلم قد تزوج ولم يجامع
قيل انما فعل لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر
واما عيسى صلوات الله عليه السلام فانه اذا نزل الارض ويولد له
وقال رسول الله صلعم من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحسن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم
له وجاء وقال عليه السلام من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله
في الشطر الثاني وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه
وقد كفي بالتزويج احدهما وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون
وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا
وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه
كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع
نسوة وسبع عشرة سرية وقال رجل لابراهيم بن ادهم طوبى لك تفرغت
للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع
ما انا فيه فقال ما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امراة
وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقيل فضل المتاهل افضل من سبعين
ركعة من عزب واما ما جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال عليه السلم

خير الناس بعد المائتين خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ
فقال الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلم يأتي على الناس زمان
يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه
ما لا يطيقه فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وقال ابو سليمان
الداراني الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل
وقال ايضا ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى
وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او
تزوج امراة او كتب الحديث ومن فوايد النكاح الولد وكسر الشهوة وكثرة
العشيرة ومجاهدة بالقيام بهن وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلعم
راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة
اذا اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات
اهله فان معها مثل الذي معها وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله
الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير
المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال عليه السلام فضلت على آدم بخصلتين
كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة
وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير وقال عليه السلام اياكم
وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت
السوء اما آفات النكاح فالعجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر
لكل احد لاسيما في هذا الزمان ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة

اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا
بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام فنحن لا نعلم فيقتص
لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله لعبد شرا سلط عليه في الدنيا
انيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه السلم لا يلقى الله سبحانه احد بذنب
اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال
موروث او مكتسب من حلال وكان له من القناعة ما يمنعه عن طلب
الزيادة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات
ومنها العجز عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن واعتذر بعضهم عن التزوج قال انا مبتلى بنفسي فكيف
اضيف اليها نفسا اخرى كم لم تسع الفارة فى علقت والمكنس فى دبرها
فان اتفقت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال
وخلق حسن وجد في الدين لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك
شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل فلا شك
في ان النكاح افضل مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان كان انتفت
الفوائد واجتمعت الآفات فالافضل له العزوبة فان كان الرجل ممن
امن من الآفات ولا يسلك سبيل الاخرة الا بالصلوة النافلة او بالحج او ما
يجري مجراه من الاعمال البدنية فالافضل له النكاح لان في كسب الحلال
والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا
من العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب

يشوش

يشوش عليه ذلك فالافضل له ترك النكاح ومن لا يشغله عن الله تعالى
شاغل فالافضل في حقه الجمع بينهما ورسولنا عليه السلم جمع بين فضل
العبادة والنكاح وقد كان مع تسع نسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان
قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع ولا يمنعه امرها العلم عن حضور
القلب مع الله تعالى وكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته
روي عنه عليه السلم فيقول لنسائه لا توذينني في عائشة رضي الله عنها
فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها وانى
يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السري ما لا يغير البحر
الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره وينبغي للرجل ان يكون
احسن الناس خلقا والطفهم باهله لقول النبي عليه السلم اكمل
المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وفي تفسير الخبر المروي
ان الله يبغض الجعظري الجواظ قال هو الشديد على اهله المتكبر
في نفسه فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع
الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم فلينظر
الرجل اولا اخلاقها بالتجربة ليعاملها بما يصلحها فان بهن شرا وفيهن
ضعفا فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج
الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء قال
عليه السلم لا يفلح قوم تملكهم امرأة وكانت امرأة تقول لابنتها
اختبري زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه انزعي زج رمحه فان سكت

اي بين فضل العبادة والنكاح

لذلك فاقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه
فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وراجعت
امراة عمر في الكلام فقال اتراجعين يالكاع فقالت ان ازواج رسول الله
عليه السلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان
راجعته وهو خير ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وقد دفعت احديهن
في صدر رسول الله صلعم فزبرتها امها فقال عليه السلم دعيها فانهن
يصنعن اكثر من ذلك وجرى بين رسول الله عليه السلم وبين عايشة
رضي الله عنها كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله عم
تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت يا رسول الله ولا تقل الا حقا
فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول
غير الحق فاستجارت برسول الله عليه السلم وقعدت خلف ظهره فقال
له النبي عليه السلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقال عليه السلم من
صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله تعالى من الاجر مثل ما اعطى ايوب
على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله تعالى مثل
ثواب اسية امراة فرعون وينبغي للرجل ان يعتدل في الغيرة وهو
ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة
الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلعم ان تتبع عورات
النساء وفي لفظ اخر ان تبغت [?] النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٤

من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان
فسبقا فراى كل واحد منهما في منزله ما يكره وقال عليه السلم غيرة يبغضها الله
وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة وذلك من سوء الظن
الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم واما في محلها فلا بد منها وهي
محمودة وقال رسول الله عليه السلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شي
خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية
بعضها من بعض واستحسن قولها والله اعلم

الكتاب الثالث في اداب الكسب والمعاش

قال الله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسالة وسعيا
على عياله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر
روي ان عيسى صلوات الله عليه راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد
قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال عليه السلام
من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر
وقال معاذ بن جبل ينادي يوم القيمة اين بغضاء الله تعالى في ارضه
فيقوم سؤال المساجد وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي
لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل
الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري رضي الله عنه في هذا
ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد

في ليلة من له ثلثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين
بهم يتقلدون منة من قبولهم مبراتهم وكان قبولهم لخيراتهم خيرا اضافوا لهم
الي عباداتهم فينبغي للمريد ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر
الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به علي الدين والمعطي يعطيه
علي طيبة قلب وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه اوصنا فقال من
استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا
يموتن تاجرا ولا جابيا وقال عليه السلام ما اوحي الي ان اجمع المال
وكن من التاجرين لكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فوجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل
الاحوال فمن طلب بالتجارة الثروة والزيادة لاستكثار المال وادخاره
لا الصرف الي الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال علي الدنيا
التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك جائرا فهو ظلم وفسق واما
من طلب بها الكفاية لنفسه ولعياله تعففا عن السوال فليست بمذمومة
بل هي افضل له وان كان لا يحتاج الي السوال وكان يعطي من
غير سوال فالكسب افضل لان التعفف والتستر له اولي من البطالة
فان كان رجلا له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم يشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم فانهم
علي ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا لم يوحي الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه

ان

ان يكون من التاجرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال لا اله الا الله يدفع عن الخلق سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم
علي اخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما انتقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا
فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين فلا ينبغي
للرجل ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة
وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك
منها للآخرة فانها مزرعة للآخرة وينبغي للتاجر ان ينوي في ابتداء التجارة
الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال
عنهم واستعانة بما يكتسبه علي الدين وكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين
به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحبه لنفسه
ولينو العدل والاحسان في معاملته ولينو الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا
في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة
ويقصد في صنعته وتجارته الاتيان بفرض من فروض الكفاية فان
الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق
فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم علي
صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلي هذا حمل بعض الناس
قوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات
والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغني عنها لرجوعها الي

الى طلب الترفه والتنعم في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة لابكن
في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش
والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف به الدنيا
فكل ذلك كرهه ذووا الدين فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم
استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة
الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب
او خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة
عليه حرام ببيع الطعام وبيع الاكفان لانه يوجب انتظار موت
الناس وغلاء الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب
وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما
في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب
فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة
لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى علمه
بل الى قدر قيمة السلعة هذا هو العادة وهو ظلم والاحتراز
فيه عن دقايق الربوا عسير واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب
ما من تجارة احب الي من البز ان لم يكن فيها ايمان وقد روي
خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة
لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب
اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والحمل والخياطة

والجزر

والجزر والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل
والوراقة والابحة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي
الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر
مخالطتهم مع النساء والصبيان عن مجاهدات مريم عليها السلام في طلب
عيسى بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع
البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها
وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من العادات او فروض الكفايات
كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة
الاستيجار عليه وكذا تعليم القران وتعليم الشرع فان هذه اعمال حقها
ان يتجر بها للاخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة
فلا يستحب ذلك وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار للاخرة
للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان
واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت
بصحيفة العبد في اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من
سيئ الاعمال وقد جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين وكان احدهم اذا رفع المطرقة
او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة
ورمى بها وقام الى الصلوة وينبغي ان يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل
بالتسبيح والتهليل قال عليه السلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله

الزخرفة
مكروه
الوراقة
المطرقة
ومخالطت جاهلان اعتقاد ايشان ضعيف ميشد وعقل را ضعيف ميدارد چنانكه مخالطت عاقلان عقل را بيفزايد

وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفي ألف حسنة وكان
ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق
قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل
السوق يقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما
أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة
خاسرة فاعلم أن السوق والمسجد والبيت في حق طالب الآخرة
له حكم واحد فإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله
حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت
بهم الأحوال فيه يكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم والله أعلم

الكتاب الرابع في الحلال والحرام

قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا أمر بالأكل من الطيبات
قبل العمل وقال عليه السلام طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما
قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء
أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال
عليه السلام من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى
وفي حديث ابن عباس عن النبي عليه السلام أن لله ملكا على بيت
المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل
الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال الفضيل رحمه الله من عرف

ما يدخل

ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقال
سهل التستري من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل
إلا حلالا ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين
يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من أين تأكل
فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن
يأكل وهو يضحك واعلم أن الورع عن الحرام على أربع مراتب
ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة
ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل
ما يحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق
إليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على
الظاهر الثالثة ما لا يحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف
أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين
الرابعة ما لا بأس به أصلا ولا يخاف أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه
يتناول لغير الله تعالى ويتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية
والامتناع منه ورع الصديقين فينبغي لصاحب الورع أن يستفتي قلبه
فإن حاك في صدره شيء فهو الإثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة
فتوى المفتي فإنما يفتي بالظاهر والله عز وجل يتولى السرائر وحيث
قضينا باستفتاء القلب أردنا حيث أباح المفتي أما حيث حرم فيجب

الاحتياج ثم لا معول على كل شيء تراب قريب موهوم يتفرعن
كل شيء ورب شهوة متساهل يختلج اليه كل شيء ولا اعتبار بهذين
القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموقن الواقف على الاحوال فهو المحك
الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعزّ هذا القلب في القلوب فمن
لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب ... بهذه الصفة وليعرض
عليه واقعته ويقال في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود
صلوات الله عليه قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم ولا
صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي ذلك الذي أؤيده
بنصري واباهي به ملائكتي واعلم ان لك مع الامراء والعمال
الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم
والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان
تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم
فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات ولما وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن
اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع في دنياهم فهو منهم وذلك
لان من اعتزل سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمهم ان نزل
بهم لتركه المنابذة والمنازعة وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء
وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسل على
عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل

فاحذروهم

فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس بن مالك رضي الله عنه عليه السلام قال
ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وقال حذيفة
رضي الله عنه اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء
يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال
سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعي
ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال عبادة بن
الصامت حب القارئ الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء
وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على
باب هؤلاء واعلم ان التواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس
بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر ذهب ثلثا دينه فلا يباح التواضع للظالم
الا بمجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند
خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبّل ابو عبيدة
بن الجراح يد عمر رضي الله عنهما لما لقيه بالشام فلم ينكره عليه اما الدعاء
للظالم فلا يجوز الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات
فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واتساع النعمة فغير جائز قال النبي عم
من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فمن جاوز
الدعاء الى الثناء فذكر ما ليس فيه فيكون كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق
وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام وان دخل

الحالة الثانية

السلطان

فانه باكرام العلم

عليك السلاطين الظالم زائرا فالقيام والاكرام له لا يحرم مقابلة له على اكرامه العلم والدين مستحق للاكرام ولكن الاولى ترك الاكرام بالقيام اذا امن عن ينال اذى من غضبه ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم واعراضه عمن اعرض الله عز وجل عنه فليكن جنايته كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه فاحب ما احبه وكره ما كرهه ثم يجب عليه ان ينصح له فيامره بالمعروف وينهاه عن المنكر فيما قصروا ويرتكب وكل ولي وعالم له ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه اذ السلامة في العزلة فعليه ان لا يحب لقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الي المتصلين بهم ولا يتاسف علي ما يفوت بسبب مفارقتهم وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنا فقال ارفع الينا حاجتك فقلت اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه كم انفقت فقال بضعة عشر درهما وارى ههنا اموالا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا وكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك

غزى فلان تمادى في غضبه

ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة قريبة واعلم ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم فيطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر به والاستعانة منهم على اغراضهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه بالسؤال وبالتردد في الخدمة وبالثناء والدعاء والمساعدة على اغراضه عند الاستعانة وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله لم ينعم عليه بدرهم واحد فاذن لا يجوز ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية فلو تصورت ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه

فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرا على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين

وهو جالس في بعض بساتين البيت لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخلعة
والى الفقراء عليهم وتركتهم والى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن
يكره فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء
اليها وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا
فيحبه قلبي بين ان القلوب لا تكاد تمتنع من ذلك وروي ان بعض
الامراء ارسل الى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فاخرجها كلها فاتاه
محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال سل اصحابي
فقالوا اخرجه كله قال انشدك الله أقلبك اشد حبا له الآن ام قبل
ان ارسل اليك فقال لا بل الآن فقال انما اخاف هذا وقد صدق
فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته
وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم فان كنت
في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس بالاخذ وقد حكي عن بعض
عباد البصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم
فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه
قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على
تسخيره اياه والله اعلم

الكتاب الخامس في آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة

الصحبة عبارة عن المخالطة والمجالسة والمجاورة

اعلم ان التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات
والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات والتحابب
والتآلف ثمرة حسن الخلق والتفرق والتباغض ثمرة سوء الخلق فالاول

مظهرا عظيم منته على خلقه بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا
اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنه فقال عز من قائل واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال النبي عليه السلام
من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله امام
عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج
حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اذا اجتمعا على ذلك وتفرقا
ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات جمال
وحسن فقال اني اخاف الله فرزقه محبة وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان
الحب في الله كما يكون له اصدقاء يحبهم في الله وقال عيسى عليه السلام
تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد
عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم فقالوا يا روح الله فمن نجالس قال
جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم
في الآخرة عمله وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان رجلا قام بين الركن
والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب
وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط
قال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلاة لك برهان
والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي قال

موسى عليه السلام الهي دلني على عمل ... قال يا موسى
هل عاديت فيّ عدوًّا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله
والبغض في الله قال رجل لمحمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال
أحبك الذي أحببتني له ثم حوّل وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك من
أن أُحَبّ فيك وأنت لي مبغض ودخل على داود الطائي فقال له ما حاجتك
فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرًا حين زرت ولكن انظر
ماذا ينزل بي إذا قيل لي من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله
ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول لها كنت في الشبيبة فاسقًا فلما شخت صرت
مرائيًا والله للمرائي شر من الفاسق وقال مجاهد المتحابون
في الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات
ورق الشجر في الشتاء إذا يبس واعلم أن من أحب إنسانًا
أحب محبه ومحبوبه ومن يخدمه ومن يثني عليه ومن يثني على محبوبه
ومن يتسارع إلى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد أن المؤمن
إذا أحب كلبه فكذلك حب الله سبحانه إذا قوي وغلب على القلب واستولى
عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن
كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ولذلك كان عليه السلام إذا حمل
إليه باكورة مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب العهد بربنا ومن
أحب إنسانًا يحب ثوبه ويحفظه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته
وجيرانه قال مجنون رحمه الله: أمر على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا وقد انتهت
محبة الله تعالى بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة
فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد
أن أنال مغفرة الله بمعصية الله وقال بعضهم شقيق وليس لي في
سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني وقال بعضهم أريد وصاله ويريد
هجري فأترك ما أريد لما يريد واعلم أن من استغرق الحب جميع قلبه
لم يبق له محبوب سواه ويترك في معاملته محبوب سواه مثل أبا بكر
الصديق رضي الله عنه فلم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً إلا ابنته وهي قرة
عينه وبذل جميع ماله وقال ابن عمر بينما أن النبي صلى الله عليه وسلم
جالس وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال
إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فأقرأه من الله السلام وقال له يا رسول الله
ما لي أرى أبا بكر وعليه عباءة وقد خللها على صدره بخلال فقال
أنفق ماله علي قبل الفتح قال فأقرئه من الله السلام
وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط قال
فبكى أبو بكر وقال أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن
ربي راض واعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه إما أن يكون
مخالفًا في عقائد الدين أو المخالف في الأفعال كافر ومبتدع فمن كان
كافرًا محاربًا فهو مستحق للقتل أو الإرقاق وإن كان ذميًا فإنه لا يجوز
إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق

وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليكم قلت عليك والاولى
الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه وترك
الاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد
ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء واما المبتدع الذي يدعو الى بدعة بحيث يكفر فيها
فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان
كان ممن لا يكفر فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة
ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد
فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه
الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان
ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب اظهار
بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير
الناس عنه قال صلى الله عليه وسلم من انتهر صاحب بدعة ملأ الله
قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله يوم الفزع الاكبر
ومن لان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد عليه السلام
فاما المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به
فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح

فان

فان قلوب العامة سريعة التقلب فان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود
طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ
في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله
لا باعتقاده فان كان ما يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة
الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها
فالاعراض اولى وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم ثم ينقسمون
الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في
الاعراض فبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم
موكد جدا واما صاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيأ
اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد ويسهل طريقها على الخلق فهذا
لا يوذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وهذا اخف من الاول
فان المعصية بينه وبين الله الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه
متعدي على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض
واما ما يكون فسقا في نفسه غير متعد الى غيره كشرب الخمر او ترك الواجب
او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف فان صادفه في وقت
مباشرته يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي
عن المنكر واجب فاذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر
عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح فان لم يتحقق
ولكن يرجوه فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ

إن كان يرجى النفع فأما الإعراض عن جواب السلام والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند ذلك يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه أو مقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك تردد على إشارات الشيطان وبعيد من أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين مجتهد نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان أنه عامل لله ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي أن شارب الخمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على أخيك أو لفظ هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ واعلم أنه ينبغي للرجل

أن يكون فيمن يؤثر صحبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق وغير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا وقال الشاعر

إني أمنت من عدو عاقل ... وأخاف خلا يعتريه جنون

فالعقل فن واحد وطريقه ... أدري فأرصد والجنون فنون

وقيل وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجد فلا تصحب إلا نفسك وقال علي رضي الله عنه

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

وقال سعيد بن المسيب لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هو الإسلام في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم واعلم أن للأخوة والصحبة حقوقا في المال والنفس واللسان بالدعاء والعفو والإخلاص والوفاء وترك التكلف والتكليف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وإنما شبههما باليدين لأنهما يتعاونان

علي غرض واحد فكلا لا ابصاحبا انما يتم اخوتهما اذا توافقا في مقصد
واحد وادني الاستيثار والمواساة مع الاخوة اذا سنحت له حاجة وكانت
عندك فضلة علي حاجتك اعطيته ولم تحوجه الي السوال فان احوجته
الي السوال فهو غاية التقصير في حق الاخوة واوسطه ان تنزله منزلة
نفسك وترضي لمشاركته اياك في مالك واعلاه ان توثره علي نفسك
وتقدم حاجته علي حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهي درجات
المتحابين جاء رجل الي ابي هريرة وقال اني اريد ان او اخيك
في الله فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق
بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب
عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده
في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذنه قال لا قال فلستم باخوان
وجاء فتح الموصلي الي منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت
صندوقه ففتحه واخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها قال ان صدقت
فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل قال ابو سليمان الداراني لالقم اللقمة
لاخ من اخواني فاجد طعمها في حلقي واقتدا الكل في الايثار برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتني منها
سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الي صاحبه فقال له يا رسول
الله كنت احق بالمستقيم فقال ما من
صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا يسال عن صحبته هل اقام فيها حق الله

لاواضاعه وخرج رسول الله عليه السلام الي بير يغتسل عندها فامسك
حذيفة بن اليمان الثوب علي رسول الله عليه السلام وستره حتي اغتسل ثم جلس
حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله عليه السلام الثوب وقام يستر حذيفة
من الناس فابى حذيفة وقال بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى
رسول الله عليه السلام الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل واعلم ان
اشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين
التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان
وقال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله
اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المؤمن من الشر ان
يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد علي غيره كلامه
فقد نسبه الي الجهل والحمق او الي الغفلة والسهو عن فهم الشي علي
ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وقال النبي عليه السلام
من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق
بني له بيت في اعلى الجنة وينبغي للرجل ان يحترز عن سوء الظن
فقد قال عليه السلام ان الله قد حرم على المؤمن دمه وماله وعرضه وان
يظن [illegible] يدعو الي التجسس وقد قال عليه السلام لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس
بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل
الدين وينبغي له ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره

وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل
ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل
ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان
الا بالبدن ولذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال
السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير
فرق وقال عليه السلام من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة
وفي الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم
من ان يكشفها وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها اخرى وقيل
ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه وقيل قلوب الاحرار
قبور الاسرار وينبغي للمؤمن ان ينصح اخاه في السر لا يطلع احد فما كان
على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من
نفسه وقيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك قال ان نصحني فيما بيني وبينه
فنعم وان قرعني في الملا فلا وقد صدق فان النصح على الملا افضاح
والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه
على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون
به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما
ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد وتستنطق جوارحهم
بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي

يوم

يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان
كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء
فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء
فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة
جاهك فانت مداهن قال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع
الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان
الا بالعداوة وينبغي للناصح ان ينبه اخاه المسلم ما لا يعلمه ولذلك
كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرءا
اهدى الى اخيه عيوبه وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي
بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين
ادامين على مائدة واحلة فقال رضي الله عنه اما هذان فقد كفيتهما
فهل بلغك غيرهما فقال لا فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور
من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه فان كان
يظهره فلا بد من النصح بالتلطف بالتعريض مرة وبالتصريح مرة اخرى
الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه
وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا
كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره
في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه

فالتعرض لذلك ليس من النصيحة في شيء ثم ان كان بحيث يؤدي
استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة و
والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة واختلف
طرق الصحابة والتابعين في ادامة مودة الصديق اذا ارتكب المعصية
قال ابو ذر رضي الله عنه اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من
حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض
في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة ذهبوا الى خلافه
فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان فلا تدعه لاجل
ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابرهيم النخعي
لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه
غدا وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وقال عليه السلام
من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل فعليه مثل اثم صاحب المكس وقال
صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه
لا يغضب وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ وقد قيل خل من خليلك
ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير
وقال الشاعر واغفر عوراء الكريم ادخاره ... واعرض عن شتم اللئيم تكرما
واعلم ان دعاءك لاخيك في ظهر الغيب قال الملك ولك بمثل
ذلك وفي لفظ اخر يقول الله تعالى بك ابدأ وفي الحديث دعوة الاخ

لاخيه

٤٦

٣٦

لاخيه في الغيب لا ترد وقال بعض السلف الدعاء للاموات
بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من
نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك
فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية
واعلم ان من حقوق المسلم ان تسلم عليه اذا لقيته وتصافحه عند السلام
من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه حتى يبدأ بالسلام جاء رجل الى
رسول الله عليه السلام فقال سلام عليك فقال عليه السلام عشر حسنات
فجاء اخر وقال سلام عليك ورحمة الله فقال ~~سلام عليك ورحمة الله~~
وبركاته فقال عشرون فقال سلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال
ثلاثون وقال عليه السلام اذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها فان الشيطان
اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال قتادة كانت قبلكم السجود فاعطى
الله تعالى هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل
الذمة ولا تبدؤهم بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه
وقال انس قال النبي عليه السلام اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما
سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال عليه السلام تمام تحياتكم بينكم المصافحة ولا بأس بقبلة يد المعظم
في الدين تبركا به وتوقيرا لقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
فصافحه وقبل يده فتنحيا يبكيان والانحناء عند السلام منهي عنه

تحية من قبلكم

فصافحا

ومنها تشميت العاطس وقال عليه السلام يقول العاطس الحمد لله على
كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول
يهديكم الله ويصلح بالكم وقال عليه السلام يشمت المسلم اذا عطس ثلثا
فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك
مزكوم وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او بيده وروي خمر وجهه وقال
ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله عليه السلام
رجاء ان يقول يرحمكم الله وكان يقول يهديكم الله وقال عليه السلام
العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم
فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك في جوفه
قال عليه السلام من عطس ... لم تشتك خاصرته
ومنها اذا بلي بذي شر فينبغي ان يدفعه بالمداراة
قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال ابن
عباس في معنى قوله تعالى يدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى
بالسلام والمداراة وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف
من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها ان يجتنب
مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام وكان سليمان
عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه وقال
مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان كلمة يقال لعيسى عليه السلام احب

من يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار ما في القران يا ايها الذين
امنوا فهو في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان
للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين
وقال عليه السلام في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرنا
في زمرة المساكين وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا
رسول الله قال الاغنياء واما اليتيم فقد قال عليه السلام انا وكافل اليتيم
كهاتين في الجنة وهو يشير باصبعيه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال
السرور على قلبه قال النبي عم من مشى في حاجة لاخيه ساعة
من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين
وقال صلى الله عليه وسلم ومن قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره
وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد كل يوم ثلاث
مرات كتبه الله من الابدال ومنها ان يعود مرضاهم وادب العائد
خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعا بالعافية وغض
البصر عن عورات الموضع وعند الاستيذان لا يقابل الباب ويدق
برفق واذا قيل له من لا يقول انا ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح
وقال عليه السلام خير العيادة اخفها يعني في الذين وتمام عيادة المريض
ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم
المصافحة وقال عليه السلام من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا
قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال طاوس

افضل العيادة اخفها وقال عليه السلام اغبوا في العيادة واربعوا
وجماع ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى
الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ويستحب للعليل ان
يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد ومنها ان يشيع جنائزهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط فان وقف حتى
دفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ومنها ان يزور قبورهم
والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال عمر رضي الله عنه خرجنا
مع رسول الله عليه السلام فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى
القوم منه فبكى وبكيت فقال ما يبكيك قلت بكيت لبكائك قال هذا قبر
امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنت في ان استغفر لها
فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه
اذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته ويقول سمعت رسول الله عليه السلام
يقول ان القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده
ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال سفيان من اكثر ذكر القبور وجده
روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر
النار واعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام
قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان
وجار له ثلاثة حقوق فالجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام
وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم الذي له حق الجوار
وحق

وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك وروى الزهري
ان رجلا اتى النبي عليه السلام يشكو جاره فامر النبي عليه السلام ان ينادي
على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون
هكذا واربعون هكذا واومأ الى اربع جهات وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر
نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن
سعته وحسن جوار اهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس
ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه وقال ان الجار الفقير يتعلق
بجاره الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد
بابه دوني وقال رسول الله عليه السلام من اراد الله به خيرا قيل وما
علم قال يحببه الى جيرانه واعلم ان الاخبار والاثار في حقوق
الاقارب والرحم كثيرة منها قال رسول الله عليه السلام يقول الله انا الرحمن
وهذه الرحم شققت اسمها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه
رزقه فليصل رحمه وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل
المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وروي ان عمر رضي الله عنه
كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك
لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة
وقطيعة الرحم واعلم ان اخص الارحام واشدها الولادة فيتضاعف

تاكل الحق فيها وقد قال عليه السلام بر الوالدين افضل من الصلوة
والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم
ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال رجل يا رسول
الله من ابر قال بر والديك قال ليس والدان قال بر ولدك
كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال عليه السلام
رحم الله والدا اعان ولده على بره واعلم ان ملك اليمين
يقتضي حقوقا في المعيشة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما
اوصى به رسول الله عليه السلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم
اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان
الله ملككم اياهم ولو شاء الله لملكهم اياكم وقال عبد الله بن عمر جاء رجل
الى رسول الله عليه السلام فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم
فصمت عنه رسول الله عليه السلم ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين
مرة وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله عليه السلام
ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله
فسمع رسول الله عليه السلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله عليه السلام
امسك يده فقال رسول الله عليه السلم سالك بوجه الله فلم تعف فلما
رايتني امسكت يدك فقال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم
تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته والله اعلم بالصواب

الكتاب السادس في العزلة

واعلم انه قد ظهر الخلاف بين التابعين في اختيار العزلة
وتفضيلها على المخالطة فاختار سفيان الثوري وابراهيم ادهم وداود
الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف ابن اسباط
وحذيفة المرعشي وبشر الحافي العزلة وقال اكثر التابعين باستحباب
المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتحبب الى المومنين والاستعانة
بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب
والشعبي وابن ابي ليلى وهشام ابن عروة وابن شبرمة وشريح وابن
المبارك والشافعي واحمد بن حنبل قال عمر رضي الله عنه خذوا حظكم من
العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا
وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا
وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني فقال صم للدنيا واجعل
فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه
كلمات احفظهن من التورية قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس
فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا
فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة
منها في الصمت والعاشر في العزلة عن الناس وقال سفيان الثوري هذا
وقت السكوت وملازمة البيوت وقال ابراهيم النخعي لغيره تفقه

ثم اعتزل وقال يوسف بن اسباط سمعت سفين الثوري
يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال ابن عباس
افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فاما من المايلين
الى المخالطة فاحتجوا بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وبقوله تعالى
الف بين قلوبكم امتن على الناس بسبب التاليف وهذا ضعيف لان
المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني الكتاب واصول
الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهي الاسباب المثيرة
للفتن المحركة للخصومات وبقوله عليه السلام المومن الف مالوف ولا خير
فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء
الخلق الذي يمنع بسببه المؤالفة واحتجوا بقوله عليه السلام من فارق الجماعة
فمات مات ميتة جاهلية وهذا ايضا ضعيف لان المراد به الجماعة
التي اتفقت اراؤهم على امام فالخروج عليهم بغي وذلك محظور لاضطرار
الخلق الى امام مطاع فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا
تعرض للعزلة واما من المايلين الى تفضيل العزلة الذين احتجوا
بقوله عز وجل في اصحاب الكهف واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم
قريشا لما اذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة
الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به الى المدينة بعد ان اعلى الله كلمته
وهذا اعتزال المسلمين عن الكفار عند الياس منهم وهذا ضعيف فانه عليه السلام

لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف
لا اعتزل بعضهم بعضا وهم مومنون وانهم اعتزلوا الكفار وانما النظر
في العزلة من المومنين واحتجوا بقوله عليه السلام لعبد الله بن عامر
الجهني حين قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك
عليك دينك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
العبد التقي الخفي النقي وفي هذا الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فانه
عليه السلام عرف بنور النبوة ان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة
فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة
الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب
معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط مشهور خامل لا ذكر له ولا شهرة
فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة فاعلم ان اختلاف الناس
في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك
يختلف بالاحوال بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك
القول فيما نحن فيه فوائد العزلة كثيرة منها الفراغ للعبادة والفكر
والاستيناس بمناجاة الله سبحانه والاشتغال باستكشاف اسرار الله
في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل
اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله تعالى فكان ببدنه
مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله باطنا لا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر
ولن تمنح الجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا

كان ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يجعل ان ينتهي درجة
بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله
منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق
بحب الله استغراقا لا يبقى بغيره فيه متسع قال مالك بن دينار
من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل
علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقيل الاستيناس بالناس من علامات
الافلاس ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر
التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة
فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله
عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام
الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة ومنها التخلص
عن الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة يوجبها
الحرص على الدنيا ومنها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة
الدين والنفس عن الخوض فيها وقل ما تخلو البلاد عن تعصبات
وفتن فالمعتزل عنهم في سلامة عنها وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي
دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق
ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله

قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان
حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزوج
قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد ابويه فان
لم يكن ابوان فعلى يد زوجته فان لم يكن فعلى يد قرابته قالوا كيف
ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق
حتى يورده موارد الهلكة ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان
فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر بمراحل قال سفيان الثوري
والله لقد حلت العزوبة [illegible] وللمخالطة فوائد ايضا
كثيرة وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب
ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع [illegible]
التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها ومن اعتزل فاته
التعلم لا ينفك في حالة الانفراد والقلب عن انواع من الغرور
تخييب سعيه وتبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده
في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة
تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد
فالخير في عزلة العوام والجهال فالعالم هو اهل الدين فلا يليق العزلة
الا بالعالم الذي تحصل بالعزلة سلامة الدين عن الافات التي
تولدت من المخالطة فلا ينبغي ان يكون معتزلا في بيته ويا عشا
التكبر وما نعنا عن الانفاق ان لا يوقر ولا يقدم او يركب العزلة

عنهم ان ينفع لحمله ولا يبقي لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل
خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالط فيتخذ من البيت سترا على
مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق
وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هولاء انهم يحبون ان يزاروا
ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين
اليهم واجتماعهم على بابه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك
ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة
الناس لبغض اليه زيارتهم كما حكي عن الفضيل انه كان جالسا
وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال ما جاء بك قال المؤانسة
يا ابا علي فقال هي بالله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان
تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم
عني واما ان اقوم عنك وينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف
الشر الذي حصل من المخالطة والخلاص من آفة القصور عن
القيام بحقوق المسلمين والتجرد لعبادة الله فليكن في خلوته مواظبا على
العلم والعمل والذكر والفكر وليكف عن سوال اخبارهم وعن الاصغاء
الى اراجيف البلاد وما به الناس مشغولون فان كل ذلك ينغرس في القلب
حتى ينبعث في اثناء الصلوة واحد مقامات المعتزل قطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله والاجاد ينابيع الوساوس واصولها وان
يكون صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء

الي

التبغض دشمن داشتن

تركيب وحف الاجاف واحد اراجيف

الي ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك المخالطة
فان ذلك يؤثر في القلب ولا بد وان يكون وانقطاعه عن سيره في طريق
الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور القلب واما
بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتامل في دقايق
الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وليكن له الصبر
في العزلة لا بقطع الطمع عن الدنيا وفيه الناس منهمكون ولا ينقطع
طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي
ويمسي على انه لا يصبح ولا يكون كثير الذكر للموت ووحدة القبر
مهما ضاق قلبه من الوحدة فمن لا يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته
ما يانس به لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ومن انس بذكر الله
ومعرفته لا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة
بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى كما قال الله تعالى
في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه
فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه في هواه كما صرح به
رسول الله عليه السلام وقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله
اعلم بالصواب

الكتاب السابع في آداب السفر

اعلم ان السفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن
الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين

در حال مشغولي دل بران جاده نابود كه از رفتن در راه آخرت وقفه افتد

الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف
على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على تلقفه بالتقليد
من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل
بمتسع فضاء عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس
ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا
السفر لما كان مقتحمه في خطر لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى
غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ
الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق
وخلى عن الطائفين منتزهات الانفس والملكوت والآفاق وبقوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن تيسر له
هذا السفر لم يزل بنزهة متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن
بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا يضيق فيه المناهل والموارد
ولا يضر فيها التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته
وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر
فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ومن لم يؤهل للجولان

في هذا الميدان والطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر
بدنه في مدة طويلة فراسخ معدودة فينبغي له ان يبدأ برد المظالم وقضاء
الديون واعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ورد الودائع ان كانت عنده
ويختار رفيقا فلا يخرج وحده وقد نهى عليه السلام ان يسافر الرجل وحده
وقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا احدكم وكانوا
يفعلون ذلك ويقولون هذا امير امره رسول الله عليه السلام وقال
صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وينبغي ان يكون رفيقه ممن
يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين
خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه ويودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء
ويدعو عند الوداع بدعاء رسول الله عليه السلام قال بعضهم صحبت عبد الله
بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله
عليه السلام يقول قال لقمان الحكيم ان الله تعالى اذا استودع شيئا حفظه واني
استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وقال عليه السلام اذا اراد احدكم
سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وكان
رسول الله عليه السلام اذا ودع رجلا فقال زودك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وينبغي ان يصلي
قبل السفر صلاة الاستخارة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر ويرحل
من المنازل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل
يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ويستحب

ان يتبرك بالخروج يوم الخميس فانه عليه السلام ما كان يخرج الى سفر
الا يوم الخميس والتشييع للوداع سنة قال صلى الله عليه وسلم لان
أشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة او روحة احب الي
من الدنيا وما فيها وينبغي ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة فاذا نزل
المنزل يصلي فيه ركعتين ثم يقول اعوذ بكلمات الله التامات التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق ومن خاف الوحشة في سفر قال
سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة
والجبروت واعلم ان من خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس اذا كان
سفره في قافلة او بين قرى متواصلة او ان ركب البادية وحده او مع قوم
لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا وعشرا
او يقدر ان يجتزئ بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه
بيده الى التهلكة ولهذا سر بيانه في كتاب التوكل وليس معنى التوكل
التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو
ونزع الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر
حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل
وهو آلة الوصول الى المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر الى باب
لا يقدح فيه وحقيقة التوكل ملتبس الا على المحققين من علماء الدين والله
اعلم بالصواب

الكتاب الثامن في السماع والوجد

اعلم ان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر

وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي
الماء في التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقدح السماع
فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر
من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فلا يصل
روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه فمن غلب عليه
حب الله تعالى واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع
سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه يهيج لشوقه مؤكد لعشقه
وحبه مور لزناد قلبه مستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات
لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها ويسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية
وجدا ماخوذا من الوجود وحصول الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى
في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخيرها لها وتأثرها بها شوقا وفرحا
وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تأثر الارواح بالاصوات
من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد المحروم عن لذة السماع
يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة
من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الجاهل من لذة
معرفة الله سبحانه ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولعلك تقول كيف
يتصور العشق في حق الله حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف
الله سبحانه احبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد
معرفته والمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة

مفرطة ولذلك قال العرب ان محمدا عشق ربه لما رآه يتخلى
للعبادة في جبل حراء واعلم ان من غلب على قلبه محبة الله
جل جلاله يتذكر بذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب
من الله تعالى ولا يحتاج في تنزيله عليه الى استنباط وتفكر بل يسبق
المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض
الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول خيار عشرة بحبة فغلبه الوجد
فسئل فقال اذا كان خيار الناس عشرة بحبة فما قيمة شرارهم وقد قيل
من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج
واما من غلب عليه عشق مخلوق فالسماع على ما يميل في نفسه فالسماع
في حقه حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعي الى
ما لا يباح الوصول اليه وكذا من يتمثل في نفسه صورة صبي او امرأة
لا يحل النظر اليها وكثر الفساق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان
الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك ولذلك سئل حكيم عن العشق
فقال دخان يصعد دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع وروى ابو امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث
الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك
ورد الخبر في بعض الغناء الذي يحرك من القلب ما هو مراد
حمل الحديث المذكور
الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما المحرك للشوق الى الله تعالى
يضاد مراد الشيطان واما من لم يغلب عليه حب الله تعالى ليكون السماع

محبوبا في حقه ولا غلبت عليه الشهوة ليكون محظورا في حقه يكون
السماع مباحا له كسائر انواع اللذات المباحات الا انه اذا اتخذه ديدنه
وهجيراه فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو
جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة وكالمواظبة
على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع
وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسماع في اوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له مباح ان كان ذلك
السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب
ووقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه
القرآن فكما جاز السرور جاز اثارة السرور فيه ودليل على هذا
من النقل انشادهم بالدف والالحان عند قدوم رسول الله عليه السلام
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
فهذا اظهار السرور بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات
والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم
حجلوا في سرور اصابهم وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
رايت النبي عليه السلام يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد
حتى اكون انا اسامه وروى مسلم والبخاري في حديث عقيل عن الزهري
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها
وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي عليه السلام

مستجيّ بثوبه فاستترها ابو بكر رضي الله عنه فكشف النبي عليه السلام
عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد واعلم ان السماع
اذا كان من امرأة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة في سماعها ومن
الصبي الذي يخشى فتنة منها حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس هذا
لاجل الغناء بل لو كانت امرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة فلا يجوز
محاورتها وسماع صوتها في القرآن ايضا وكذلك الصبي الذي يخاف فتنته
وما روي عن النبي عليه السلام انه سمع صوتها في بيت عائشة فانه
لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلا يقاس الحداد دون الملائكة فاذن يختلف
هذا باحوال المرأة واحوال السامع كونه شابا وشيخا وينبغي ان لا يكون
في مجلس السماع آلة من شعائر الشراب والمخنثين وهي المزامير والاوتار
وطبل الكوبة فهذه ثلثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة
كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل وكالشاهين والضرب
بالقصب وسائر الآلات واعلم ان للصوفية والحكماء في حقيقة
الوجد كلاما وفي مناسبة السماع للارواح لهم نظر فقال ذو النون المصري
في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق
تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج
القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمّى
السماع وارد حق وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن
عرف الاشارة حل له سماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية

وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله
عند المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال
ابو سعيد الاعرابي الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق
بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب ولا يبعد
ان يكون السماع سبب الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه
ومنها تغيير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان في ادراكها نوع علم يفيد
ايضاحا لامور لم تكن معلومة قبل الورود والسماع مغير للاحوال ومنها
صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلوب والصفاء سبب الكشف
بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ يقرع
سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان
في المنام وذلك جزء من النبوة وعن مسلم العباداني قال قدم علينا
صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد وسليم الاسواري
فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه
فجاؤا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته
ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع قال فصاح
عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام
وما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب
يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب
بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة للانبياء اما على

حقيقة صورتها وانما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة
ورأى رسول الله جبريل عليه السلام مرتين في صورته واخبر
عنه بانه قد كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد
القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الآيات
وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضماير القلوب
وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد روي ان واحدا من
المجوس كان يدور على المسلمين وكان يقول ما معنى قول النبي عليه السلام
اتقوا فراسة المؤمن وكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى
بعض مشايخ الصوفية فسأله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي
على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال
الآن عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق وروي ان ذا النون
المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال
فاستأذنوه في ان يقول شيئا فاذن له في ذلك فانشأ يقول صغير
هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت في قلبي هوى
قد كان مشتركا فقام ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك
الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف
في تواجده واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت
الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء

فيؤثر

فيؤثر وقد يحصل في السماع عن غناء مفهوم الاحوال من حزن
وخوف وسرور وقد تؤثر في النفس من النغمات التي ليست مفهومة
تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الآثار ويعبر عنه بالشوق
ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه وهو يجده في نفسه حالة
كانها تتقاضى امرا ليس يدري ما هو ففي نفس الآدمي مناسبة مع العالم
الاعلى واللذات التي وعدت في سدرة المنتهى والفراديس العلى
الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء فالسماع يحرك منه
الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه
ربه وانساه مستقره الذي اليه تحننه واشتياقه بالطبع فيتقاضى
قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق
الذي لا يعرف طريق الخلاص واعلم ايضا ان الوجد ينقسم
الى هاجم والى متكلف ويسمى تواجدا والتواجد المتكلف منه ما هو
مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس
عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة
واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال ولذلك
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن
ان يتباكى ويتحازن فان هذه قد يتكلف مباديها ثم يتحقق اواخرها
وجميع ما يحصل للنفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها
الا بالتكلف والتصنع اولا ثم تصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول

بعضهم العادة طبعا وهو طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة
لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف
لاجتلابها بالسماع وغيره وهو مجالسة الصالحين والخايفين والمحبين
والمشتاقين والخاشعين ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم وبالدعا
والتضرع الى الله فقال فرع وحب من احبك وحب ما يقربني
الى حبك واعلم ان الوجد الحق ما نشا من فرط حب الله
وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن
كما يهيج بالغناء واصحاب المخلوق لا يهيج القرآن وما نقل من الوجد
بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير منهم من بكى ومنهم من غشي
عليه ومنهم من مات في مجلسه كان الشبلي ليلة في مسجد في رمضان
وهو يصلي خلف الامام فقرا الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر
وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب ويردد ذلك
مرارا والمريد الذي يتضرر بالسماع ثلثة اقسام درجة هو الذي لم يدرك
من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله
بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو ولا من اهل الذوق
ليتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه والثاني
هو الذي له ذوق السماع ولكن بعد فيه بقية من الحظوظ
والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا

يوشن غوليه فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه
طريقه ويصده عن الاستكمال والثالث ان يكون قد انكسرت شهوته
وامنت غايلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله ولكنه لم يحكم
ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل
فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز فيكون
ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل
كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل
هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن
يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله
ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة
قدم يجب حفظ الضعفاء عنه اداب السماع خمسة منها مراعاة الزمان
والمكان والاخوان ومعناه ان لا اشتغال به في وقت حضور طعام
او صلوة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فايدة فيه
فيراعي حالة فراغ القلب والمكان اذا كان شارعا مطروقا او موضعا
كريها او فيه سبب يشغل القلب والاخوان لانه اذا حضر غير الجنس
من منكر السماع متزهد بالظاهر مفلس عن لطايف القلوب كان مستثقلا
في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا
يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف
يراءي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ومنها ان يكون مصغيا

الى ما يقوله القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب
محترزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال
الوجد مشتغلا بمراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره
متحفظا عن حركة يشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر
محترزا عن التنحنح والتثاؤب مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرقا ساكنا عن
سائر الحركات الا على وجه التصنع والتكلف والمراياة فان غلبه
الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار
فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال
انقطع على القرب وجده ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي
القلب عديم الصفاء والرقة وقال ابو القاسم النصرآبادي لابي عمرو بن
نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير
من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع هو ان ترى من نفسك
حالا ليست فيك شر من ان يغتاب ثلثين سنة او نحو ذلك واعلم
ان عدم ظهور الوجد تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان
وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن بكمال القوة على ضبط
الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال
كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد
في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق
والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون

١٩

كما يقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا
واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع
معاني القرآن على الدوام ولا تظنن ان الذي يضرب نفسه على
الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا
من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار
لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء واعلم ان
الرقص قد يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه
محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان
كان مذموما فهو مذموم فقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا
لما اصابهم سرور نعم اللائق اعتياد ذلك لمناصب الاكابر واهل القدوة
لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس
ينبغي ان يجتنبه المقتدى كيلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به
واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار
ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة
سكر الوجد عليه او يدري ~~لغلبة سكر الوجد عليه او يدري~~ ولكن
يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة
المكره اذ يكون في الحركة والتمزيق كمتنفس يضطر اليه اضطرار
المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل

اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان علي تركه
والنفس يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس
ساعة لاضطر من باطنه الي ان يختار التنفس فكذلك الزعقة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم وتمزيق الثياب
بعد سكون الوجد والسماع وتفريقها علي القوم مباح ولكن ينبغي ان
يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها ومنها موافقة القوم في القيام
اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار
من غير اظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب
الصحبة وكذلك ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة علي موافقة
صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه
بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة اذ المخالفة
توحش ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد
في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب
القلب بالمساعدة وقول القايل ان ذلك بدعة فانه لم يكن في الصحابة
قلنا فليس كل ما نحكم باباحته منقولا من الصحابة وانما المحذور بدعة
تزاحم سنة ماثورة ولم ينقل النهي عن شيء من هذا فالقيام عند الدخول
للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون
لرسول الله عليه السلام في بعض الاحوال كما رواه انس رضي الله عنه
ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نري به باسا في البلاد التي جرت

العادة باكرام الداخل بالقيام له فان المقصود منه الاحترام والاكرام
وتطييب القلب به فكذلك ساير انواع المساعدة اذا قصد بها تطييب
القلب واصطلح عليها جماعة بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي
لا يقبل التاويل ومنها ان يقوم للرقص مع القوم ان كان لا يستثقل
رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد
مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن
صدق لا يستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا ارباب القلوب
محك الصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته
قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالا غير اضداد والله اعلم بالصواب

الكتاب التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالي ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الاية بيان الايجاب
فان قوله ولتكن امر وظاهر الامر للايجاب وفيها بيان ان الفلاح
منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض
كفاية لا فرض عين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن
منكم امة يدعون الي الخير فاذن مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج
عن الاخرين وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين
عليه لا محالة قال الله تعالي لعن الذين كفروا من بني اسرائيل علي
لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا

لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية
التشديد اذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال الله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح
نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعلوا فقد امر الله تعالى
بقتالهم وقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وروى ابو امامة
الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى
نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله
قال كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن
ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون
قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم
عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى حلفت بي لأتيحن لهم فتنة يصير
الحكيم فيها حيران وروى عن ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله عليه السلام
عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ثعلبة مر بالمعروف
وانه عن المنكر واذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من
ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه
اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم

تجدون

تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود
عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن
قد اوشك ان يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا ولا يقبل
منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وعن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره
قال وقال عليه السلام لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه
لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز
دخول دور الظلمة والفسقة حيث لا يقدر على تغيير المنكر فانه قال
اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة
اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم
المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي
لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما ساح السواح
وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير
قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن لم يأمنوا ان
تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا ان
مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم
وقرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ففر قوم فلولا ما جعل
الله جل ثناؤه في النبوة رتبة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء

فيا بلغنا ان الملايكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع
تمر باجلهم فينادیها فتجیبه ویسالها این امرت فتخبره ویسیں
بني وقال ابو عبيدة الجراح قلت يارسول الله اي الشهداء
اكرم على الله قال رجل قام الى والي جاير فامره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري بعد ذلك
وان عاش ما عاش وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا وله حواريون فيمكث النبي بين
اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله
نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا
انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون
ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل
مومن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام
وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله عليه السلام اوحى الله
تبارك الى ملك ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال
يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه
وعليهم فان وجهه لم يتغير في ساعة قط وقالت عايشة رضي الله عنها
قال رسول الله عليه السلام عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا
عملهم عمل الانبيا قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون
لله عز وجل ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر

وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لابي مسلم الخولاني رضي الله عنه
كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال كعب ان التورية تقول
غير ذلك قال وما يقول قال يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت التورية وكذب
ابو مسلم واعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة
اركان المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب
فللمحتسب شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون
والصبي والكافر ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين
ويدخل فيه الرقيق والمراة والفاسق وما ذكرناه اردنا به شرط
... يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق
... فله انكار المنكر فهو يريق الخمر ويكسر الملاهي
... ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف
... وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه
... نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع
... ن كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب
... ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق
... ن لان هذا نصرة الدين فلا يكون اهلا
... شرط بعضهم العدالة وقالوا ليس للفاسق
ان يحتسب ... وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله
بالانكار

فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع
(لتلقي نيست واآمدن و آشكار)
تمر باجلهم فينادونها فتجيبه ويباليها ابن أمرت فتخبره ويبس
(وبي پوسند كجا نامزد شده ايد وان خبر مي يابند)
بنيي وقال ابو عبيدة الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء
اكرم علي الله قال رجل قام الي وال جائر فامره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري بعد ذلك
وان عاش ما عاش وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين
(ياران)
اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله ويامره حتي اذا قبض الله
نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا
انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون
ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق علي كل
مومن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع وراء ذلك اسلام
(انكار القلب)
وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله عليه السلام اوحي الله
تبارك الي ملك ان اقلب مدينة كذا وكذا علي اهلها قال فقال
(بازگونه كن)
يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه
وعليهم فان وجهه لم يتغير في ساعة قط وقالت عايشة رضي الله عنها
قال رسول الله عليه السلام عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا
عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون
لله عز وجل ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر

وقال

٥٢

وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لابي مسلم الخولاني رضي الله عنه
كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال كعب ان التورية تقول
غير ذلك قالوا ما يقول قال يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهي عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت التورية وكذب
ابو مسلم واعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة
اركان المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب
فللمحتسب شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون
والصبي والكافر ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين
ويدخل فيه الرقيق والمراة والفاسق وما ذكرناه اردنا به شرط
الوجوب فاما الجواز فلا يستدعي الا العقل حتي ان الصبي المراهق
للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وهو يريق الخمر ويكسر الملاهي
(نزديك بلوغ)
واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف
فان هذه قربة وهو من اهلها وليس حكمه حكم الولايات حتي يشترط فيه
التكليف ولذلك اثبتناه للعبد نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع
ولاية ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب
اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق
كالمنع من الكفر ومن شرطه الايمان لان هذا نصرة الدين فلا يكون اهلا
(المحتسب)
من هو جاحد لاصل الدين وشرط بعضهم العدالة وقالوا ليس للفاسق
ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد علي من يامر بما لا يفعله
(بالانكار)

مثل قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله تعالى
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله عم
قال مررت ليلة أسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار
فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر
ونأتيه وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلوات الله عليه
يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني
وربما استدلوا بالقياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء فمن ليس بصالح
في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وإنما الحق
للفاسق أن يحتسب فإن شرط العصمة حسم لباب الاحتساب إذ لا
عصمة للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فضلا عن غيرهم والأنبياء قد اختلف
في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم عليه السلام إلى
المعصية وكذا جماعة من الأنبياء عليهم السلام ولهذا قال سعيد بن جبير رضي الله عنه
إنه لو لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر
أحد بشيء واعلم أن الحسبة تارة تكون بالوعظ وتارة بالقهر
ووعظ من لم يتعظ ولا ينفع لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة
إذ لا فائدة في وعظه فإذا سقط الوجوب فأما إذا كانت الحسبة بالقهر وقد
قدر عليه تعلق الحسبة فلا حجر على الفاسق في إراقة الخمور وكسر
الملاهي وغيرها إذا قدر عليه الإنصاف والكشف في المسألة وأما الآيات
التي استدلوا بها فهي إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث

أمرهم

أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه
لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد
الكاذب وقوله وتنسون أنفسكم إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من
حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا
للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ
وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم
قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني ولا تترك
الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي واعلم
أن الحسبة لها خمس مراتب أولها التعريف والثانية الوعظ بالكلام
اللطيف والثالثة السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش بل
أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى
والرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر
واختطاف الثوب الحرير من بدنه واستلاب المنديل المغصوب
منه ورده على صاحبه والخامسة التخويف والتهديد بالضرب أو مباشرة
الضرب حتى يمتنع عنه واعلم أن الحسبة للولد على الوالد التعريف
ثم الوعظ والنصح بالتلطف وليس له غير ذلك وكذلك حسبة العبد
على السيد وحسبة الزوجة على الزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم
الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر أنه
لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة بالسجود لبعلها وأما الرعية

مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس له منعه الا التعريف
والنصح واما التلميذ مع الاستاذ فالامر بينهما اخف لان المحترم
هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه
فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وسئل الحسن رضي الله عنه
عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان
غضب سكت عنه فاعلم ان من يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب
ان تكلم فلا يجب عليه الحسبة بل ربما يحرم في بعض المواضع نعم يلزمه
ان لا يحضر موضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج
الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة الا اذا يرهق الى
الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه
الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يكون قادرا
على الهرب من الاكراه ومن يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر
على مكروه ينالـه فيجب وهي القدرة المطلقة فان علم انه لا يقبل
لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب الحسبة لعدم فايدتها ولكن يستحب لاظهار
شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين وان علم انه يصاب بمكروه
ولكن يبطل المنكر بفعله فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب
ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر
ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان
الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه

اني اتيتك ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان
يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في العمل واعلم
ان للمحتسب شروطا وهي ان يعلم ما فيه الحسبة وهو كل منكر صغيرة فلا
يختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية
واتباع النظر الى النسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب
النهي عنها وان يكون ما فيه الحسبة موجودا في الحال وهو احتراز عن
الحسبة على من فرغ من شرب فان ذلك ليس الى الاحاد واحتراز عما
سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب
في ليلة فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه
ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وان يكون ظاهرا له بغير تجسس فكل
من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه فلا ينبغي
ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا يستنشق
ليدرك رائحة الخمر ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره
وقد نهي الله عنه وكذلك روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل
فرآه على حالة مكروهة فانكر فقال يا امير المؤمنين ان عصيت الله من
وجه فقد عصيت من ثلاثة اوجه فقال ما هي فقال فقد قال الله تعالى
ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد دخلت
من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على
اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وحد الاستتار ان يغلق

باب داره ويستتر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه ليعرف
المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات
المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز حيطان الدار واصوات
السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه اهل الشوارع فهذا اظهار
موجب للحسبة وان يكون منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل
الاجتهاد فلا حسبة فيه واعلم ان جميع آداب المحتسب مصادرها ثلاث
صفات العلم والورع وحسن الخلق اما العلم ليعلم مواقع الحسبة وحدودها
ومجاريها وموانعها فيقتصر على حد الشرع فيه واما الورع ليرغب
عن مخالفة معلومه فلا كل من عمل به فاذا علم يكون كلامه
ووعظه مقبولا واما حسن الخلق ليتمكن من اللطف والرفق وهو
اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الورع لا يتم
الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر
المحتسب على ما اصابه في دين الله والا اذا اصيب عرضه او نفسه
بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه
بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة
بها يصير الحسبة من القربات وبها يندفع المنكرات وان فقدت فربما
كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه
الآداب قوله عليه السلام لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق
فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه

وهذا

وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به
وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن
من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل ، لا تلم المرء على فعله
وانت منسوب الى مثله ، من ذم شيئا وأتى مثله ، فانما يزري على عقله
وقال ابو العتاهية تدل على التقوى وانت مقصر ، فيا من يداوي الناس وهو سقيم
وان امرءا لم يجعل البر كثره ، ولو كانت الانبيا له لخصيم ولسنا نعني
بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن قد يسقط اثره
عن القلوب بظهوره للناس وقد روى عن انس بن مالك قال
قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر
حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف
وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض
السلف بنيه وقال ان اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه
على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس
الاذى ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان
يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق
حتى يزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور
وكان يأخذ من قصاب في جواره بكل يوم شيئا من الغدد لسنوره
فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور جاء

واحتسب علي القصاب فقال لا اعطيك بعد هذا شيا لستوكل فقال
ما احتسب عليك الا ما يحل لخروج التنور وقطع الطمع ومن طمع في ان
يكون قلوب الناس طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم يتيسر له
الحسبة وقال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة
قال ان التورية يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر
سآءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم
ويدل علي وجوب الرفق ما استدل به المامون رحمه الله اذا وعظه
واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير
منك الي من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشي وينبغي لكل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة
علي الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدي
بعد الفراغ منهم الي جيرانه ثم الي اهل محلته ثم الي اهل بلده ثم
الي السواد المكتنف لبلده ثم الي اهل البوادي من الاكراد والعرب
وغيرهم وهكذا الي اقصي العالم فان قام به الادني سقط عن الابعد
والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام
يبقي علي وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو
قادر علي ان يسعي اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه والله اعلم بالصواب

الكتاب العاشر في اخلاق النبوة

اعلم ان اداب الظواهر عنوان البواطن وحركات الجوارح ثمرات

الخواطر

الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس
الافعال ومنابعها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن
صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض علي ظاهره جمال الاداب النبوية
وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم كثير التضرع والابتهال دايم
السوال من الله تعالي ان يزينه بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق
وكان يقول في دعائه اللهم جنبني منكرات الاخلاق ويقول اللهم
حسن خلقي فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم
فانزل الله عليه القرآن وادبه به فكان خلقه القرآن وقالت عائشة
رضي الله عنها كان خلق رسول الله عليه السلام القرآن وانما ادبه
بالقرآن بمثل قوله تعالي خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقوله تعالي ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي
عن الفحشاء والمنكر والبغي وبقوله واصبر علي ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور وبقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وامثال هذا التاديب في القرآن لا ينحصر قال عليه السلام بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق ثم لما اكمل الله تعالي خلقه اثني عليه فقال وانك لعلي
خلق عظيم فانظر الي عميم فضله كيف اعطي ثم اثني ثم قال رسول الله بين للخلق
ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وعن معاذ بن جبل
عن النبي عليه السلام ان الله تعالي حف الاسلام بمكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب

وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض
برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره
مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء
عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام
وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل
والغنا والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل دخل والكذب والغيبة
والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات
البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة
والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي
والعدوان والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها
وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شينا الا حذرناه ونهانا عنه
ومن جملة محاسن الاخلاق التي جمعها بعض العلماء والتقطها
من الاخبار فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس
واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس قط يده امرأة
لا يملك رقها او عصمة نكاحها او يكون ذات رحم محرم وكان اسخى
الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه
ويجنه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرأ الى من يحتاج اليه
لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر
والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا الا اعطاه

غدا الشيطان بينهم ايه القى الشر والاغراء

ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء
العام ان لم ياته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم
في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره
في وجه احد ويجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة
لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة
الامة والمسكين ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر
عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين وهو في قلة
وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابى وقال انا
لا انتصر بمشرك وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل
ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد ولا يتورع
من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان
وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا
دون خبز اكتفى به لا ياكل متكيا ولا على خوان منديله باطن قدميه
لم يشبع من خبز بر ثلثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على
نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المريض ويشهد الجنازة
ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم
من غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور
الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة حبرة يمانيا ومرة جبة
صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن

اجمال المهنة الخدمة والمتاهل والخادم

التعصب عصابه بر سر بستن والمعصب الذي يعصب وسطه من الجوع

الي الله تعالى

ولا يسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة
بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة
يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل
المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر
لهم ويصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم
ولا يجفو على احد يقبل المعذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك
من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات
عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له
اماء وعبيد لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس [illegible] له وقت في غير
عمل الله تعالى او فيما لا بد له من صلاح [illegible] بساتين اصحابه
ولا يحقر مسكينا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه [illegible] الى الله دعاء
واحدا قد جمع الله السيرة الفاضلة والسياسة [illegible] التامة فيه وهو امي لا يكتب
ولا يقرأ ونشا في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما
لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة
واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة
والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضل وفقنا الله تعالى
لطاعته في امره ومن اخلاقه وادابه انه ما شتم احدا من المومنين

بيان جملة اخرى من اخلاقه وادابه

بشتيمة الا جعلت لها كفارة ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما وقيل له
وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث

لعانا

لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص
عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده قط الا ان يضرب بها في سبيل
الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان ينتهك حرمة الله وما خير
بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم
فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد حرا وعبد او امة
الا قام معه في حاجته وكان من خلقه ان يبدا من لقيه بالسلام وما اخذ
بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه
بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشبكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس
الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف
صلوته واقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى
صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليها
شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث
ما انتهى به المجلس جلس وما رئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان
اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط
ثوبه له وربما يوثره بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه
حتى يفعل ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم
ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا
النساء اللاتي لهن اولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن

الكفي ويكفي الصبيان فيسلم عليهم وكان ابعد الناس غضبا
واسرعهم رضا وكان ارأف الناس بالناس وكان اذا قام من مجلسه
قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام وكان عليه السلام
وكان عليه السلام افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا
افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد وكان نزر الكلام
سمح المقالة ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم وكان اوجز الناس
كلاما وبذلك جاء جبريل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد
وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم
في غير حاجة ويكفي ما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم
جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه
اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك
~~اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك~~
اصحابه التبسم اقتداء به وتوقيرا له وكان صلى الله عليه وسلم ياكل
ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه
الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة
تصل بها نعم الجنة وكان كثيرا اذا جلس لياكل يجمع بين ركبتيه وبين
قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم
فوق القدم ويقول انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد

بيان كلامه وضحكه

بيان اخلاقه وادابه في الطعام

وكان

وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله تعالى لم يطعمنا
نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلث وربما استعان
بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشياطين وجاء
عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال
بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار
ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم
نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال عليه السلام ان هذا طعام طيب وكان
ياكل خبز الشعير غير منخول وكان ياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان
احب الفاكهة الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز
وبالسكر وربما اكله بالرطب واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ
النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل في كفه
اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل
العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر
منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما
الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع
وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة لو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم
لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع ويقول انها شجرة اخي يونس
وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف
ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة

بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من
البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة
وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر
والانثيين والمثانة والمرارة والغدة والحياء والدم ويكره ذلك وكان
لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه
اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب
والطحال ولا يحرمهما وكان يلحق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر
بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام اصبعا اصبعا ويقول انه لا يدري في
اي الطعام البركة وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا
جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات
فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب
عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل
ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من
على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان
احببت آثرتهم وربما اتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه
وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال عم لا احرمه
ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان
من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق
لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه

بيان اخلاقه وادابه في اللباس

شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل او يشرب بنفسه وكان عليه السلام
يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة
او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض
ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو
للحرب وغير المحشو وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون
الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار
وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وربما لبس الكساء وحده ما عليه
غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد
وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس
الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به
الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به
مخالفا بين طرفيه وقال انس وربما رأيته يصلي الظهر في شملة
عاقدا بين طرفيها وكان يلبس القلانس تحت العمامة وكان اذا لبس
ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به
عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان
اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل
ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه ما واراه حيا وميتا
وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع
وشبر او نحوه وعرضه ذراع وشبر ونحوه وكان ينام على الحصير

ليس عليه غيره وكانت له عباءة تفرش له حيثما ينتقل تثنى
طاقتين تحته وكان من خلقه دوابه وسلاحه ومتاعه وكان
اسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذا الفقار وكان له سيف يقال
له المخذم وآخر يقال له الرسوب وكانت قبضة سيفه محلى بالفضة
وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلث حلق من فضة وكان اسم
قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصواء وهي التي
يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم
شاته التي يشرب لبنها عينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم الناس
وارغبهم في الخضوع القلة وكان رسول الله صلعم رقيق البشرة
لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا
اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه
رجل بالصفرة فكرهه فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم
لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وكان صلعم اجود الناس واسخاهم
وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وان رجلا اتاه فسأله
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا ليعطي
عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وكان النبي عليه السلام
اجمل الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رايتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلعم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقال عمران بن الحصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتيبة الا كان له اول من يضرب وكان قوي البطش ولما غشيه
المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
فما رئي يومئذ احد اشد منه وكان عليه السلام اشد الناس تواضعا في علو
منصبه قال ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب
ولا طرد ولا اليك اليك وكان يجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع
الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون
له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي
عليه السلام برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك
انما انا ابن امرأة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه
مختلطا بهم كانه احدهم وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال
لبيك اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا
في طعام وشراب تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون
الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون
فيتبسم معهم اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام وكان صلى الله عليه وسلم

بيان حلية رسول الله عليه السلام

ليس بالطويل ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى
وحده ومع ذلك لم يماشه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله
ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول
ونسب هو صلعم الى الربعة ويقول صلعم جعل الخير كله في الربعة
فاما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا شديد البياض

الابيض

والازهر هو ابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء
من الالوان ونعته ابوطالب فقال وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ
اطيب من المسك الاذفر وكان شعره يضرب منكبيه واكثر الروايات
انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا تخرج كل اذن
من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه
يتلألأ وكان اذا امتشط الشعر بالمشط يأتي كأنه حبك الرمال وكان
شيب في الرأس واللحية سبع عشرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم
احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة
البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته ووصفه صاحبه
ابو بكر رضي الله عنه فيقول امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله
الظلام وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة وكان ابلج بين الحاجبين
كان بينهما الفضة وكانت عيناه نجلاوين وكان في عينيه تمزج من
حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى
العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن
عباد الله شفتين والطفهم ليس بطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان
يعفي لحيته ويأخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى
الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه ابريق فضة

مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان عليه السلام
عريض الصدر لا يعلو لحم بعضه بعضا كأنه المرآة في استوائها وكالقمر
في بياضه موصول ما بين سرته ولبته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره
ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلث يغطي الازار منها واحدة ويظهر
اثنتان وكان عظيم المنكبين كثير الشعر ضخم الكراديس اي رؤوس
العظام من المنكبين والمرفقين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه
خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى
الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان عبل العضدين
والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كأن اصابعه
قضبان الفضة كفه الين من الخز كأن كفه كف عطار طيبا مسها
بطيب او لم يمسها بطيب يصافحه المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين
الصبيان بريحها على رأسه وكان معتدل الخلق في السمن بدن
في آخر زمانه وكان مشيه كانما ينقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو
تكفيا ويمشي هونا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان يقول كان ابي
ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا كان يقول ان لي عند ربي عشرة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
وانا العاقب الذي ليس بعدي احد وانا الحاشر يحشر العباد
على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم

والملقّى قفّيت الناس جميعا وانا خاتم ولما معجزاته فات من شاهد احواله
واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته
وسجاياه وتألفه اصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب
اجوبته في مضايق الاسولة ومحاسن اشاراته في تفاصيل ظواهر الشرع
التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم
لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة رجل امي
لا يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل
بين اظهر الجهال من الاعراب فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق
والاداب ومعرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة
لولا صريح الوحي بذلك وان ذلك كله لا يتصور للكذاب والملبّس
بل كانت شمايله واحواله شواهد ناطقة بصدقه حتى ان العربي الجلف
كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب ولو لم يكن الا هذه الامور
الظاهرة لكان فيها كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب
فيه محصل واستفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح فلا نشتغل
بيانه

الكتاب الاول في شرح عجائب القلب من ربع المهلكات

اعلم ان القلب هو العالم بالله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب
اليه والمكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات
له يستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الداعي للرعية والصانع
للآلة والساري الى الاعضاء من المحاسن والمساوي اثاره وباظلامه

واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه فمعرفة
القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين وهو
الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه
وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه

بيان القلب

واعلم ان لفظ القلب يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري
الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه وهذا
القلب موجود للبهايم ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن
به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة والمعنى
الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك
اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العارف من الانسان وهو
المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيّر
عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق
الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة او تعلق
المتمكن بالمكان وشرح ذلك يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها
لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها
ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها

بيان الروح

واعلم ان لفظ الروح يطلق لمعنيين
ايضا احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة

العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان
انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي
فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي
الى جزء من البيت الا ويستنير فالحيوة مثاله النور الحاصل في الحيطان
والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج
في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به
هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب والمعنى الثاني
هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد
معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك

بيان النفس

كنه حقيقته واعلم ان لفظ النفس مشترك بين معان ويتعلق
بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب
والشهوة في الانسان وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم
يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون
لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والمعنى الثاني هو اللطيفة التي
ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها
توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر
وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة

قال الله

قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى
الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله وهي من حزب
الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية
ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في
عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت
النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول
والنفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس

بيان العقل

الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله وبسائر المعلومات ولفظ العقل
ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملة
معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة
عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به
المدرك للعلم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون
اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه فاذا قد انكشف
لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح
الجسماني والنفس الشهوانية والعلم وهذه اربعة معان يطلق عليها
الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان

كما ان القلب يطلق ويراد به العقل قال الله تعالى لمن كان له قلب اي عقل

احيا العلوم

ولا الفاظ الاربعة بجملتها تتوارد وعليه اكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف
هذه الالفاظ وتواردها فيقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح
وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني
هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث
ورد في القران والسنة القلب فالمراد به المعنى الذي يعرف حقيقة
الاشياء

بيان جنود القلب

واعلم ان لله سبحانه وتعالى في القلب والارواح وغيرها
من العوالم جنودا مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو
قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وللقلب جندان جند يرى
بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم
الخدم والاعوان فاما الجند المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين
والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها
خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا فاذا امر العين
بالانفتاح انفتحت والرجل بالحركة تحركت واللسان بالكلام تكلم وكذا
سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملائكة
لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان
الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح
والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها في نفسها من طاعتها
للقلب وكذا سائر الاعضاء واما الجنود الباطنة وهي المدركة للاشياء

كالحواس

كالحواس وهي خمسة قوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس
وانما اسكنت المنازل الظاهرة وخمسة اخرى وهي تخيل وتحفظ
وتفكر وتذكر وحس مشترك وانما اسكنت المنازل الباطنة وهي تجاويف
الدماغ فان الانسان بعد رؤيته للشيء يغمض عينيه فيدرك صورته
في نفسه وهو الخيال ثم يبقى تلك الصورة معه بسبب تحفظه ثم يتفكر
فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ثم يجمع جملة
معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات

واعلم ان الاول ينقسم الى ضروري ومكتسب فالضروري ما لا يدري من
اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما واما المكتسب
فهو المستفاد بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي
رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع اذا لم يكن مطبوعا كما لا ينفع
الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله عليه السلام
لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بابواب البر فتقرب
انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية
بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب
باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين

واعلم ان العلوم العقلية تنقسم الى الدنيوية والاخروية

اي العلوم العقلية فيغني بها ما يقتضي بها غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع ٥

ولا ينفع مسموع صح

جانكه ... چشم نابينا نور خورشيد منفعت نكند ٥

كالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنحو وسائر الحرف
والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم
بالله وصفاته وافعاله وهما علمان متنافيان فمن تعمق في احدهما
قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه
للدنيا والآخرة ثلثة امثلة فقال كالكفتي الميزان وكالمشرق والمغرب
وكالضرتين اذا ارضيت احدهما اسخطت الاخرى ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله اي في امور الدنيا
وقال الحسن لو ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا
شياطين قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها الآية وقال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين
لا يتيسر الا للانبياء وقلوب سائر الخلق اذا اشتغلت بامر انصرفت عن
الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه واعلم ان القلب يتصور
ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من
اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيه صورة الشمس
تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس
... الحجاب بين القلب وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء
... فيه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس
واعلم ان العلماء يعملون في اكتساب نقش العلوم واجتلابها

الى

حكاية

الى القلب والاولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره
وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين والروم تباهوا بين
يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك
على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل
الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر
ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل
اهل الصين من غير صبغ وهم يصقلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل
الروم ادعى اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا فتعجب الملك من قولهم
وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير
صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا بجانبهم يتلألأ فيه
عجائب صنائع الروم مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة
المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية
الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه حلية
الحق بنهاية الاشراق وعناية العلماء والحكماء باكتساب نقش العلوم
وتحصيل نفسها في القلب واعلم من انكشف له ولو الشيء اليسير
بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا
بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به
فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد بذلك شواهد الشرع
والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا

لتهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم
يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم
تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار فكل حكمة
تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف
والالهام وقال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه
شيا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب
لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله فقلت
الستما تكتبان الفرايض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة
الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون
على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال
عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول
رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب
باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسالة
عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت
صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته
فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما واعلم ان مبادي الافعال
الخواطر فالخواطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية
تحرك الاعضاء والخاطر المحمود اعني الداعي الى الخير يسمى الهاما
والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا وسبب الخاطر

الداعي

الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به تتهيا القلب لقبول
الهام الملك يسمى توفيقا والذي به تتهيا لقبول وسواس الشيطان
يسمى اغواء وخذلانا فالوسوسة في مقابلة الالهام والملك في مقابلة الشيطان والتوفيق في مقابلة
الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له
بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان
والملك فقد قال رسول الله صلعم في القلب لمتان لمة الملك وعد بالخير
وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي
عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله
وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه
وما كان من عدوه جاهده واعلم ان من اتبع مقتضى الشهوة
والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش
الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد
الشهوات ولم يسلطها على نفسه صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم
ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل
والى غير ذلك من الصفات البشرية المنشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل
قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله
قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم ولا يامر الا بخير واعلم

ان التطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب
دايم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن ويستوطن والاكثر القلوب
قد فتحها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالهوى ولا يمكن فتحها بعد
ذلك الا بتخلية القلب عن الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى
الذي هو مطرح آثار الملائكة وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله
فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ
إلهه هواه اشارة الى ان من اتخذ الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد
الشيطان لا عبد الله واعلم انه ليس كل خاطر يدعو الى الشر
فلا يشك انه وسوسة والذي يدعو الى الخير فلا يشك انه الهام
والذي لا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان يقف فيه لانه
لا يقدر على دعائهم الى الشر [illegible] الشر بصورة الخير
كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى
من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على
عباد الله تنكشف عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم
فلا يزال يجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم
يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ ويقول ان لم تفعل
ذلك سقط وقع كلامك من قلبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر
ذلك وهو في اثنائه يؤكل فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة
الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار

ليستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن انه عند الله بمكان
وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك
روي ان ابليس تمثل لعيسى بن مريم عليه السلام فقال قل لا اله الا الله
فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك فاجابه بان له تحت الخير ايضا تلبيسات
وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد
والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق وربما يظن صاحبه انه خير
وحسنة فيقوم اليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره
ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تفيح
اوايل الورود واليه الا [illegible] بقوله عم من حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه فيحق للعبد ان [illegible] عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك
او لمة الشيطان ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى
نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر
فيه غلطه وهو في ذلك قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم
المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض
عين على كل عباد وقد اهمله الخلق فاشتغلوا بعلوم تجر اليهم الوسواس

وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عادته وطرق الاحتراز منه والنجو
من كثرة الوسواس لانه سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس
الخمس وبين داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم
بسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس
من الباطن ويبقي مع ذلك مداخل باطنه من التخيلات الجارية
في القلب وذلك لا يندفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم لا يستغني عن الجهاد
والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان
مفتوحة لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره
وغيرها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يندفع الا بالحراسة والمجاهدة
واعلم ان مداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة
ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق
عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص والغضب
والشهوة وحب التزين في الثياب والاثاث والدار والشبع منه
من الطعام وان كان حلالا صافيا والطمع في الناس والعجلة وترك
التثبت في الامور والدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض
والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر
الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار
مثلا لانبعث من قلبه مائة شهوة يحتاج كل واحد منها الى مائة دينار
فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسع مائة اخرى وقد كان قبل وجود

المائة

المائة يظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري بها دارا
ويعمرها وليشتري جارية واثاث البيت والثياب الفاخرة وكل
شي من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية
آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي عليه السلام
قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاءوه
وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث
محمد عليه السلام فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي عليه السلام
فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم
ثم يقومون الى صلوتهم فيمحي ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله
ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم وروي ان عيسى عليه السلام
توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من
راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا ومن ابوابه البخل وخوف
الفقر قال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر وذكر
عن ابي امامة عن رسول الله عليه السلام قال ان ابليس لما انزل
الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض قال يا رب وجعلتني
رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق
ومجامع الطرق وقال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه
قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي موذنا قال المزامير
قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل

في حديثا قال الكذب قال اجعله في مصائبك قال النساء ومن ابوابه
التعصب للمذاهب والاهواء والحقد علي الخصوم والنظر اليهم بعين
الازدراء والاستحقار ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وكان من
سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا
الفضولي ان يدعي حبه وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه
وسيرته ان لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين
الي الرسغ فمن ادعي مذهب امام وليس بسيرته فذلك الامام خصمه
اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث
باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان ومن ابوابه حمل العوام والذين
لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيها علي التفكر في ذات الله وصفاته
في امور لا يبلغها حد عقلهم حتي يشككهم في اصل الدين او يخيل
اليهم في الله تعالي خيالا يتعالي الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح
بما وقع في صدره يظن ان ذلك من المعرفة والبصيرة واشد الناس
حماقة اقواهم اعتقادا لعقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما
لنفسه وظنونه واحرصهم علي السؤال من العلماء فحق العوام ان
يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ويتركوا العلم الي العلماء فان من
تكلم بغير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري
كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومن ابوابه سوء الظن
بالمسلمين قال الله تعالي اجتنبوا كثيرا من الظن واعلم ان

احوال القلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس
ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل
تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت
الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به
نفوسها والثالث الاعتقاد وحكم القلب فان هذا ينبغي ان ينظر فيه
فلا تردد بين ان يكون اختياريا او اضطراريا فالاختياري منه يؤاخذ به
والاضطراري لا يؤاخذ به والرابع الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه
ان لم يفعل خوفا من الله وندما علي همه كتبت له حسنة نقل قال النبي عم
اذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول في [illegible] يا رسول الله هذا القاتل
فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وكيف لا يؤاخذ باعمال
القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبائث
من اعمال القلوب واعلم ان القلب يتردد بين الجندين
متجاذبا بين الحزبين فاذا كانت الصفات التي في القلب الغالب
عليها الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية غلب
ومال القلب الي جنسه معرضا عن حزب الله تعالي واوليائه ومساعدا
لحزب الشيطان واعدائه وجري علي جوارحه بسابق القدر ما هو
سبب بعده عن الله تعالي وان كان الاغلب علي القلب الصفات الملكية
الملكية لم يصغ القلب الي اغواء الشيطان وتحريضه ايام علي

العاجلة وهاك الي حزب الله بموجب ما سبق من القضاء على جوارحهم ودنيا

وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمان اي بين مجاذب

هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب

الي حزب أمّا الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين

فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين

الغيب الي عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين

الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف

ارباب القلوب القضاء

فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له

المعصية واسبابها وكل ذلك بقضاء الله وقدره فمن يرد الله ان

يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا

كانما يصعد في السماء وعرّف علامة اهل الجنة واهل النار فقال تعالى

وتقدس ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال مولانا في النار

والبلايا وهو راض في الجنة والابالي لا يسال عما يفعل وهم يسالون

الكتاب الثاني في رياضة النفس وتهذيب الاخلاق

اعلم ان امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة

والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب

من الخطاء في جميع الاحوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس

وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة

ويضبطها

في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون

قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب

قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول

الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل تصدر حسن

التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن

لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة

والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها البله والغمارة والحمق والجنون

واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل ومن خلق الشجاعة

فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة والاحتمال والحلم والثبات وكظم

الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها

وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب

واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر

النفس واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة

والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع

واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة

والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث

والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء

وغير ذلك واعلم ان الغضب والشهوة لا ينقلع عن الآدمي بالمجاهدة

قط فقد جربنا بطول المجاهدة وينبغي للشيخ المرشد للمريد ان

لم يرخص في شيء منه لانه لو رخص له في ادني
شيء اتخذ ذلك عذرا في استيفاء كله وظن انه القدر المرخص فيه
واذا فصل قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الي
الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتي يتيسر له القدر المقصود
فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقي واعلم ان الشيخ
للمريد كالطبيب للمريض فكما ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة
من حرارة او برودة ضعيفة او قوية وسنه وسائر احواله فكذلك الشيخ
المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي
ان لا يهجم عليه بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص
ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم فكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضي بعلاج
واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار الي المريدين بنمط واحد
من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في حال
المريد وسنه ومزاجه وما يحتمله من الرياضة فان كان المريد مبتديا
جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات
وان كان مشغولا بمال حرام او مقارنا للمعصية فيامره اولا بتركها فاذا
تزينت بالعبادات ظواهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه
نظر بقراين الاحوال الي باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه
فان راي معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات
وفرغ قلبه منه حتي لا يلتفت اليه وان راي الرعونة والكبر وعزة

النفس

النفس غالبة عليه يامره ان يخرج الي السوق للكدية والسوال
فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه
المواظبة علي ذلك مدة حتي ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض
المهلكة وكذا الرعونة وان راي الغالب عليه النظافة في البدن
والثياب وراي قلبه مايلا اليه يستخدمه في تعهد بيت الماء
وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان
حتي يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون
ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة
لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق
بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب
من الله ومن راعي في ثوبه شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة
يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان
النفس اذا لم تسمح بترك صفة ذميمة دفعة ينبغي ان ينقل تلك الخلق
المذموم الي مذموم آخر اخف عنه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل
البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم فمن لم تسمح نفسه بترك الجاه
دفعة فلينقل الي جاه اخف مما هو فيه وكذا ساير الصفات واعلم
ان من راي شره الطعام عليه غالبا الزمه الصوم وتقليل الطعام
ثم كلفه ان يهيي الاطعمة اللذيذة ويقدمها الي غيره وهو لا ياكل
منها حتي يقوي به فتعود الصبر وينكسر شرهه فالعلاج في مبادي

الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه
الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق فقد
كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان
يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم
غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب المثل به وعالج
بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته
على الناس رعونة الجود ورياء البذل وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته
كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل
لتسمح بالقيام على الرجل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب
وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي الماوى واعلم ان الصبر على مخالفات
الشهوات صعب ومنزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه
لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض
عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء
عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم واقبل الخلق على
حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات
واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن
عرف العيوب امكنه العلاج واكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم
يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم

فمن اراد ان يقف على عيوب نفسه فله اربعة طرق الاول ان
يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات
ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه
والتلميذ مع استاذه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده والثاني ان
يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله
وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله ينبهه عليه هكذا كان يفعل
الاكابر من الائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى
الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي
بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين
ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال
وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكل من كان اوفر
عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا
ايضا قد عز وجوده وكان داود الطائي اعتزل عن الناس
فقيل له لم لا تخالط قال ما ذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد
كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا بعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل
الامر الى امثالنا ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا
ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت ونشتغل بالعداوة معه عن الانتفاع
بنصحه والثالث ان يستفيد عيوب نفسه من نفس اعدائه فان
عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن

يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه
ويخفي عنه عيوبه والرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما
فيما بين الخلق يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن مرآة
المومن فيري في عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع
الهوي فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله
او عن اعظم منه فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن
المودب قيل لعيسي صلوات الله عليه من ادبك قال ما ادبني
احد رايت جهل الجاهلين فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا
زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب
نفسه فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه

واعلم ان الناس في الذكر علي اربعة مراتب رجل استغرق
ذكر الله قلبه فلا يلتفت الي الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من
الصديقين ولا ينتهي الي هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر
عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله
ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا
من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب
علي قلبه هو الدين فلا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها
سريعا بقدر قوة غلبة ذكر الله تعالي علي قلبه والرابع رجل اشتغل
بهما لكن الدنيا اغلب علي قلبه فهذا يطول مقامه في الدنيا لكن يخرج منها

بالمعالجة بقوة ذكر الله تعالي في قلبه وتمكنه في صميم فواده وان كان ذكر
الدنيا اغلب عليه واعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين
اصبح بالضرورة مريد حرث الآخرة مشتاقا اليها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها
فالمانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة فالخلق
غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه
منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق بجهله فان طلب الطريق من العلماء
وجدهم مائلين الي الهوي عادلين عن نهج الطريق فصار نطق
العلماء بالهوي سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب
محجوبا والدليل مفقودا والهوي غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول
وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه وانبعثت له ارادة في حرث
الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية
الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد له من التحصن
اليه ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها
في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة
فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق
عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد علي الطريق قال الله تعالي
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية

ووجب علي محتضهان يحميه ويحصنه بحصن حصين يدفع عنه قواطع
الطريق وهو اربعة امور الخلوة والصمت والسهر والجوع اما الجوع
فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد
وفي ذوبانه رقته مفتاح المكاشفة واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه
وينوّره وينضاف الي الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب
كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه
رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وآفاتها والسهر نتيجة الجوع
فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان
بقدر الضرورة فيكون سببا لمكاشفة اسرار الغيب فقد قيل في صفة
الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة واما الصمت فانه
يسهل العزلة والصمت يلقح العقل ويجلب الورع واما الخلوة ففايدتها
دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب حوض
انصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ
القلب من تلك المياه لينفجر منه الماء اللطيف الطاهر وليس ذلك
الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في الجيب
او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال
الحضرة الربوبية الا ترى ان نداء رسول الله عم بلغه وهو علي هذه
الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن
تدفع عنه القواطع للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق

وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه من ملكه حتي لا يبقي
له الا قدر ضرورة فما دام يبقي له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب
عن الله تعالي وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع
وايثار الخمول والهرب من اسباب الشهرة وتعاطي اعمال ينفر
قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب
وان يصدق قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض
في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود سوي الله وان يتخذ الهوي معبودا
فينبغي ان يطلب كشف اعتقاده الذي تلقفه تقليدا من المجاهدة لا من
المجادلة فان غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه متسع لغيرها
صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الي مذهب
معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا بالتوبة والخروج
من المظالم وتصميم العزم علي ترك العود وتحقيق الندم وارضاء
الخصوم فاذا قدم هذه الشروط الاربعة كان كمن تطهر وتوضأ وصار
صالحا للصلوة فيحتاج الي امام يقتدي به لا محالة يهديه الي سواء
السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن
لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الي طرقه فمن سلك البوادي
المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها فمعتصم المريد بعد
تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى علي شط البحر
بالقايد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده وصدوده

Marginal notes: راه زنان — ورقه — والسهر — سبب — التلقف: ازدر فرا گرفتن — التعصب — المظلمة: ستم — للخفير: زينهار دهنده

دائما سلوكه بقطع العقبات والعقبة على طريق الله الاصفات القلب
التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض
فالطريق في قطعها ان يشتغل بالاسباب والاسباب وهي اثار المال
والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي
فاذا كفى ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علقة يمنعه عن تكثير
الاوراد الظاهرة يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا
واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد
الخلو عن ذكر غيره ولا يشتغل المريد بالذكر ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه
فاذا تجرد قلب المريد عن الالتفات الى العلائق الزمه الشيخ زاوية
يتفرد بها ويلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس
ويقول الله الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال
يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه ويكون الكلمة كانها جارية على
اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان
ويبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحي عن القلب
حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه
غالبا عليه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره ايا ما كان فليجتهد في دفع
الالتفات الى العلائق والوساوس ولو في لحظة فان القلب في تلك
اللحظة خلا عن الذكر وكان ذلك نقصانا ومهما دفع الوساوس كلها جاء
الوساوس من هذه الكلمة انما ما هي وما معنى قولنا الله والى معنى

كان

كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر
وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان
كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك ويعلم قطعا ان الله
منزه عن ذلك ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره
فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وكل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة
او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر
ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر
في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر
تنبه من نفسه بحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره
بملازمة حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم
ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمل
قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق
الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها فكم من
مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع
عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك
العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل
عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان

من ملوك الدين وان اخطاء كان من الهالكين ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر
الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال قبول الخير فان الخطر
من العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب علي الشيخ ان يتفرس
في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر
والفكر بل يرده الي الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله
بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف
القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشرهم يوم القيامة
في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد
للذكر والفكر يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف
من الاحوال وما يبدو من الكرامات ومهما التفت الي شيء من ذلك
وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه او وقوفا بل ينبغي ان
يلازم حالته جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو
ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين قلت لبعض
الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الي التحقيق فقال
لا تنظر الي الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال
فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم
قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا
تنظر الي الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان

بقبل

ان تجعل قلبك مع الله عز وجل هذا ما لا يكون ابدا فاذا جعل قلبه مع الله
انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلي له الحق وظهر له من لطايف
رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فاذا انكشف
للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم وعظا ونصحا ويتصدى
للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الي
ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ عنها وترتيبها
بالحكايات وشواهد القران والاخبار لتميل اليه القلوب فاذا وعظ
من اقرانه من يكون احسن كلاما واقدر علي جلب القلوب يتحرك
في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان
محركه هو الحق حرصا علي دعوة عباد الله الي صراط المستقيم فيعظم به
فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن يوازرني علي
اصلاح عباد الله فبكثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به
وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد علي حذر منه فانه
اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق علي من انفتح لهم اوايل
الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب علي الانسان ولذلك
قال الله تعالي بل يوثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان قديم في الطباع
وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولي
صحف ابرهيم وموسي. واعلم ان الانسان مهما احب شهوة البطن
والفرج والانس بها لم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال

والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة فاذا ظهر ذلك ولم يسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور والله اعلم بالصواب

الكتاب الثالث في ذكر الشهوتين شهوة البطن والفرج

اعلم ان البطن ينبوع للشهوات ومنبت الافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الي المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه ثم يتبع رغبة المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها آفة الرياء وغاية التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الي الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الي اقتحام البغي والمنكر والفحشاء ولو ادب العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم يسالك سبيل البطر والطغيان وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الي الله كل نؤم اكول شروب وقال عليه السلام لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وقال سهل بن عبد الله اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ابو سليمان

احلي ما يكون العبادة الي اذا لصق ظهري ببطني واعلم ان المريد لا يجوز له ان ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء علي امواج البحر وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن عند ضرورة بقدر القوام فقط وينبغي له ان يقتصر في اليوم والليلة علي اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتي لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة وياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو علي شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له علة الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف ومن اقتصر في اليوم علي اكلة واحدة فيستحب له ان ياكل سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وفي حديث عايشة رضي الله عنها كان رسول الله عليه السلام يواصل الي السحر وينبغي للصايم اذا راي الالتفات بعد المغرب الي الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد ان يقسم طعامه بنصفين للفطر والسحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه وان اشتد بالنهار جوعه ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره

احيا
وفي الخزانة الاكل علي الشبع يورث البرص

ترجمه
اي بپرهيز از اسراف

بيان طريق الرياضة

وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر ومن اراد ان يقلل الطعام فله ان يقلل بالتدريج فمن تعود الاكل الكثير فله ان يتدرج اليه قليلا قليلا فمن اكل رغيفين مثلا واراد ان يرده الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة وقد كان ابوذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله عليه السلام والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله عليه السلام ومن اراد ان يطوي يومين او ثلثة فليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة فقد روي ان الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا وقد كان ابوبكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن زبير يطوي سبعة ايام وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء وقال بعض العلماء

ظهر

من الطعام ظهرت له وزنه من الملكوت اي كوشف له ببعض الاسرار الالهية وقد وقف من هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه الحق وانك على باطل قال نعم فجعل لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان رجلا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وذلك درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف شغله مشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته

واعلم ان اعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير اللحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله ويصير الدنيا جنة في حقه فيكون الموت سجنا عليه واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صار الدنيا سجنا عليه ومضيقا اشتهت نفسه الافلات منها فيكون

مرحوم كردانند

الموت اطلاقا واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر
الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على
قدر تجويع النفس فكذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات
ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وقال عليه السلام شرار امتي
الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام
وانواع اللباس يتشدقون بالكلام وروى وهب بن منبه قال التقى ملكان
في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق
حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله تعالى وقال آخر
امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان
تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولا عبادة لله اعظم
من مخالفة الشهوات وترك اللذات وقال ابو بكر جلا اعرف انسانا
يقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام فاطعمني بعد ذلك
شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك
هذه الشهوة وفي الحديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى
يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء
من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر
والافلاك وملكوت الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان امتناعهم في بعض الاوقات

لانه كان لا يصفوا لهم فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات
ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على
الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي
ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فينبغي ان لا يواظب
على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء
خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه ولا ينبغي له مهما كان جائعا وتاقت
نفسه الى الجماع ان يعطي نفسه شهوتين فيقوى عليه وربما طلبت
النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع
بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه ولكن يصلي او يجلس
وليذكر الله تعالى فانه اقرب للشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة
والذكر ولا تناموا عليه فيقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات
او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيب كل اكل ومهما وجد
طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم
الغليظ لاكل اللطيف بعده ايضا للطفه وقال الله تعالى كلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا
قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة
وقيامها واعلم انه تدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان
هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا يقدر النفس على ترك
بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها

يشتهيها فيعطي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذا هو
الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل
أتعلم به بأسًا فقال يأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذه آفة
عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات أن يظهره فإن هذا
صدق الحال وهو بدل عن ثواب المجاهدة بالأعمال فإن إخفاء النقص
وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء
كذبان فيكون مستحقًا لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين ولذلك شدد
أمر المنافقين فقال إن المنافقين في الدرك الأسفل لأن الكافر كفر
وأظهر وهذا كفر وستر وكان ستره للكفر كفرًا آخر لأنه استخف بنظر الله
إلى قلبه وعظم عين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون
يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء
بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة
لله ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطًا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان
بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين
ولكن يبتغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى
لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضده
وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين
كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين
مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا

الاستخفاف
حقير شمردن

وهذا يضاهي طريق من يأخذ ما يعطى جهرًا ويرده سرًا ليكسر نفسه بالذل
جهرًا وبالفقر سرًا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه
والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت
اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحًا لغيرك لأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح
نفسه أهم له من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض
إصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع
عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات
الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح أن يعرف به
ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي
شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك
هو الشهوة الخفية فمهما أحس ذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أهم من
كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى وقال أبو سليمان إذا قدمت إليك
شهوة وقد كنت تاركًا فأصب منها شيئًا يسيرًا ولا تعط نفسك مناها
فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك
إذ لم تعط شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله إذا قدمت
إلي شهوة نظرت إلى نفسي فإن أظهرت شهوتها لها أطعمتها منها
وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف
عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئًا وهذا طريق عقوبة النفس على
هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة

التنغيص
ناخوش كردانيدن

الزنا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الزنا
اضر من شهوة الطعام كثرنا القول في شهوة الفرج اعلم ان
المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل
شاغل يمنعه عن السلوك ويستجر الى الانس بالزوجة ومن انس
بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملائكة
بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن
الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان فشرط المريد
العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم يغلبه الشهوة
فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع
الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان
قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ
عينه لم يحفظ فكره وتفرق همته وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنى
العين من كبائر الصغائر وهي يؤدي الى زنى الفرج ومن لم يقدر على غض
بصره لم يقدر على حفظ دينه ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان
يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما ابتداؤه فبالنية الحسنة
وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق واما [illegible]
اراد تبتلا ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية وقال بعضهم من
تزوج غنية كان له فيها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف

وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب
ماله والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة
دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب
وان تكون فوقه باربع الجمال والادب والخلق والورع والله اعلم بالصواب

الكتاب الرابع في آفات اللسان

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك
مدح صاحب الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه السلام من صمت نجا
وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وقال عيسى
عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من
الناس وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان
يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الاوزاعي كتب
الينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي
من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه واعلم
ان راس مال العبد اوقاته ومهما صرفه الى ما لا يعنيه ولم يدخر به
ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال عليه السلام من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ
بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا ومستبدلا الذي هو ادنى
بالذي هو خير فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة واعلم ان
من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وهو الكلام

في المعاصي كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة
فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وانواع الباطل لا يمكن
ان تحصى لكثرته وتفننه فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على
ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات
ما يهلك صاحبها وهو مستحقرها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا
وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول
توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث والخوض في حكايات
البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة
على وجه يوهم الطعن في بعضهم كل ذلك باطل ومن كلام المنهي
المراء والمجادلة فقد قال النبي عليه السلام من ترك المراء وهو محق
بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له
بيت في اسفل الجنة وروي ان ابا حنيفة رضي الله عنه قال
لداود لما آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال
احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت فما رايت مجاهدة
اشد علي منه واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء
طبع فاذا ظن ان عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع
والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه

عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق
المجادلة فان المجادلة يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس واذا عرف
ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله امراء كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال
هشام بن عروة كان يردد قوله هذا ~~يردد قوله هذا~~ سبع مرات وكل
من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا
وقبولا تقوى فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه
شيطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد
هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها واعلم ان الفحش
والسب وبذاء اللسان كل واحد منهي عنه فقد قال النبي عليه السلام
ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي والجاهل
الردي وحد الفحش وحقيقته هو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات
الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل
الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملون فيها واهل الصلاح يتحاشون
من التعرض لها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة
عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما
فان هذا ايضا مما يخفى فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش
ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك
كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام الاولاد كذا

وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح
لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه
وما يجري مجراه والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد
الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم واعلم
ان الصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن
في كل واحد على ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقوله لعنة الله
على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف
اخص منه كقوله لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى
القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلي
الربوا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان
معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه
العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس
والثالثة اللعن على الشخص بعينه كقوله فرعون لعنه الله
وابو جهل لعنه الله فيجوز لعنته لان هولاء ماتوا على الكفر وعرف
ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقوله زيد لعنه الله وهو يهودي
فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم
بكونه ملعونا فان قيل يلعن الكافر لكونه كافرا في الحال كما يقال
للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد
فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي

اشارة بر انگيختن

سوال

جواب

هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة
فان هذا سوال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان
مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وليس في ترك اللعن
خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى
واعلم ان المزاح مذموم منهي عنه الا قدر يسير يستثنى منه قال
رسول الله عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه فالمزاح يورث كثرة
الضحك وكثرة الضحك يميت القلب وتورث الضغينة في بعض الحال
وتسقط المهابة والوقار وما روي عن رسول الله عليه السلام انه قال
اني لامزح ولا اقول الا حقا فمثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا
واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه
يهوي بها ابعد من الثريا ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه والمحمود من الضحك
التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت وكذلك كان ضحك
رسول الله عليه السلام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون
لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق واعلم ان
السخرية محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستحقار
والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه

وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة
والايماء وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة
القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم
والذنوب واعلم ان خلف الوعد من امارات النفاق وكان
ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو اولى ثم اذا فهم
مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان
عند الوعد جازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة رضي
الله عنه قال رسول الله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان
صام وصلى وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام
اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خلة منهن كان فيه
خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر وهذا اذا كان عزمه الخلف فاما من عزمه الوفاء ثم
حدث له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة
النفاق وينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته
ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته واعلم
ان الغيبة حرام لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل

لحم اخيه ميتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الغيبة اشد من الزنا وذكر
الغير بما يكرهه غيبة لقوله عليه السلام هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما
اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته
والغيبة لا يقتصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح والفعل فيه
كالقول والاشارة والغمز والرمز وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في
الغيبة واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض
لشخص معين اما حي او ميت وكان رسول الله عليه السلام اذا كره من انسان
شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين واخبث انواع
الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا
بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول
الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب
الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منها
وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح
من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات
ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده
ان يذم غيره فيكون مغتابا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو
يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب
الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط

بركايك علهم ويضحك عليهم ويخوفهم واعلم ان السامع للغيبة
احد المغتابين لقوله عليه السلام المستمع احد المغتابين ولا يخرج عن اثم
الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر علي القيام
او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو
يشتهي بقلبه فذلك نفاق وينبغي ان يعظم في الذب عنه صريحا بقواطع
من اذل عنده مومن وهو يقدر علي ان ينصره فلم ينصره اذله الله
يوم القيمة علي رؤس الخلائق واعلم ان المرخص للغيبة
اشياء احدها التظلم من الظالم فان المظلوم من جهة القاضي
له ان يتظلم الي السلطان وينسب الي الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه
الا به والثانية الاستعانة علي تغيير المنكر ورد العاصي الي منهج الصلاح
وانما الرخصة اذا كان القصد صحيحا وان لم يكن فلا والثالث
الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف
طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما تقول في رجل
ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا الخبر لما روي عن
هند انها قالت للنبي عليه السلام ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني
ما يكفيني انا وولدي ان آخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك
بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله
عليه السلام اذ كان قصدها الاستفتاء والرابع تحذير المسلمين من الشر
فاذا رايت متفقها يتردد الي مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدي

رايت متفقها يتردد الي مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدي اليه البدعة
فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عن سراية
البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو
الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة علي الخلق وكذلك
من اشتري مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك
ان تذكر ذلك فان سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري
اولي بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن
وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه علي
قصد النصح لا علي قصد الوقيعة الخامس ان يكون الانسان معروفا
باسم كالاعمي والاعرج فلا اثم علي من يقول ولو امكنه التعريف بعبارة
اخري فهو اولي ولذلك يقال للاعمي البصير عدولا عن اسم النقص
السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر
بشرب الخمر ومصادرة الناس وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب
الهوي والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء يتظاهرون
به فلم لو ذكره بغيره يتظاهر به اثم واعلم ان الواجب علي المغتاب
ان يندم ويتوب ويتأسف علي ما فعل ليخرج من حق الله ثم يستحل
المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته ومن استحل وهو غير نادم ليظهر
من نفسه الورع فيكون قد قارف معصية اخري وقال الحسن
يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وان كان غائبا او ميتا فينبغي ان

يكثر الاستغفار له والدعاء فان قيل ما معنى قول رسول الله عليه السلام
ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به
العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا واعلم ان النميمة حرام
وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد
ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار
الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل انه ولد الزنا
استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي
وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة
لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون وقيل النميمة
مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل والله اعلم

الكتاب الخامس في آفة الغضب والحقد والحسد

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سال رسول الله عليه السلام
ماذا يباعدني عن غضب الله قال لا تغضب ومر المسيح بن مريم
صلوات الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له
انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده
ورأى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران
فرجع عمر فقيل له لما شتمك يا امير المومنين تركته قال لانه اغضبني
ولو عزرته لكان ذلك بغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما
حمية لنفسي ولم احب ان اخرج وقال الشافعي رحمه الله من استغضب

فلم

فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد وصف الله تعالى
الصحابة بالشدة والحمية وبالرحمة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم
والحلم واجب ووضع الشيء في محله وقال صلى الله عليه وسلم خير امتي
احداؤها يعني في الدين فالمحمود حفظه على حد الاعتدال فينبعث
حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وهو الوسط الذي وصفه
رسول الله عليه السلام حيث قال خير الامور اوساطها فيقف على الوسط
بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من
السيف وقال عليه السلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم
الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها
ما رايت رسول الله منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله
فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وقالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله عليه السلام من دعا على من ظلمه
فقد انتصر وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى من تحت العرش ثلثة اصوات
وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي ساخط لقضائي
غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وحد الحسد كراهة النعمة وحب
زوالها من المنعم عليه والغبطة ان لا تكره وجودها ولا تحب زوالها
ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وقد قال عليه السلام المومن يغبط والمنافق
يحسد فالقلب حرام الا نعمة اصابها فاجر اوكافر يستعين بها على تهييج الفتنة

بيان الحسد

يستعين

والفساد ذات البين والإيذاء للخلق فلا يضر كراهتك لها وحبك
لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي
آلة الفساد والحاسد في الحسد تلك الاحوال احدها ان يحب مساءتهم
بطبعه ويكره لحبه لذلك ويميل قلبه اليه بعقله ويوده لو كانت حيلة
في ازالة ذلك الميل منه وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار
الثانية ان يحب ذلك ويظهر الفرح بمساءته اما بلسانه او بجوارحه
فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان
يحسد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسده ومن غير انكار منه
على قلبه ولكن يحفظ جوارحه عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا
محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب
وضعفه واعلم ان المحاسدة لا تكون بين علماء الدين لان
مقصدهم معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات
والارض وهي بحر واسع لا ضيق فيه لمن عرف نفسه الفكر في جلال
الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم
ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق
لان غيره لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت بموانسته
لذة موانسة فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما
لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله
ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض والايات

ذلك في الاخرة ايضا الا بهذه المعرفة فان كنت لا تشتاق الى معرفة
الله ولم تجد لذتها فتورعنه رايك وضعف فيه رغبتك فانت فيه معذور
فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الملك فان هذه
لذة يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة
المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
لا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق
لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب
لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين قوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والله اعلم بالصواب

الكتاب [illegible] ذم الدنيا

اعلم انه اذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة
حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها
وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه فاعلم
ان اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الاخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك والاخبار فيه وارادة
قال عيسى عليه السلام الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة يطلبه
الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجي
الموت فياخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها

الدنيا موضع الفكر ومعبر العبرة ومقام العشرة ونار الحسرة وهي مزرعة المؤمنين ومسود الطالبين ومطية القاصدين وحبالة المغرورين ودار الغافلين ومهلكة الشياطين

وروي ان ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة تحركت معدته
لخروج الثقل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في
هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله
ملكا يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال ادم اريد ان اضع ما في
بطني من الاذي فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلي العرش
ام علي الانهار ام تحت ظلال الاشجار وهل تري ههنا موضعا يصلح لذلك
ولكن اهبط الي الدنيا وقال عيسي عليه السلام يا معشر الحواريين
ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل
اري رجالا بادني الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغني الملوك بدنياهم عن الدين
وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقي ولا ما نرقع وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله جعل
الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمومن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمومن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال ابو الدرداء من هوان
الدنيا علي الله انه لا يعصي الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقال
بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار
بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد
فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل علي الدنيا
احرقته نيرانها يعني الحرص حتي يصير رمادا ومن اقبل علي

الاخرة

الاخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل علي الله
احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته ولقد جاءت الرواية عن
الله سبحانه وتعالي انه قال لموسي صلوات الله عليه اذا رايت
الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين ولما ذكر الدنيا عند الحسن البصري رحمة الله عليه انشد
احلام نوم او كظل زايل ، ان اللبيب بمثلها لا يخدع وقال يونس
بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فراي في منامه ما يكره
وما يحب فبينا هو كذلك اذ انتبه من نومه فكذلك الناس نيام اذا ماتوا
انتبهوا فاذا ليس بايديهم شي مما ركنوا اليها وفرحوا بها وقال ابو بكر بن
عياش رايت الدنيا في النوم مشوهة شمطاء زرقاء تصفق بيديها
وخلفها خلق يتبعونها يصفقون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت
لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهولاء وقال عيسي عليه السلام بحق
اقول لكم كما ينظر المريض الي طعام ولا يلتذ من شدة الوجع كذلك
صاحب الدنيا لا يلتذ العبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا
واعلم ان سالك طريق الاخرة هو المواظب علي اسباب الصفات
الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا
ويبغض عليه ملاذها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن
لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الي اسباب فالقدر
الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة

لم يكن من ابناء الدنيا قال عليه السلام والتحية من طلب الدنيا حلالا
مكاثرا متفاخرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وان كان طلبها استعفافا
عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فكان
الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد
التنعم صار من ابناء الدنيا الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض
صاحبه بعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين
الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا ومن
نوقش في الحساب عذب واعلم ان الفكر والذكر والكف عن
الشهوات اذا لم يكن باعثه سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست
من الدنيا وان كان الغرض من النظر طلب العلم للتشوق به
وطلب القبول عن الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة
حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فهي من الدنيا
بالمعنى وان كان صورتها انها لله والاكل والنكاح وكل ما يرتبط
به بقاؤه وبقاء ولده ان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان
كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كان صورته
صورة الدنيا قال النبي عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا متفاخرا
لقي الله وهو عليه غضبان وان طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة
لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر واعلم ان قدر
الضرورة ما لا بد منه قوت ومسكن وملبس وهو لله ان قصد به وجه الله

ولا استكثار

ولا استكثار منه تنعم وهو لغير الله وبينهما وسايط متشابهة ومن حام
حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقريب من حد الضرورة
ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء واعلم ان اكثر ما شغل الناس
عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري فلا يشتغل بتحصيله
الا بالضرورة فان من همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه والله اعلم بالصواب

الكتاب السابع في حب المال

اعلم ان فتن الدنيا كثيرة واعظم فتنها الاموال قال الله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقالت الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك
تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم
عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وقيل ان اول ما ضرب
الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما
فهو عبدي حقا قال عليه السلام دعوا الدنيا لاهلها من اخذ منها اخذ حتفه وهو لا يشعر
والمال آفات وله فوايد فمن فوايده صرفه الى ابواب الخير وحظوظه
الحاجة ومن آفاته ان يجره الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز يحول بين المرء وبين المعصية ومهما كان عاجزا لم يتحرك داعيته
والصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء وربما لا يقدر
ان يتناول خبز الشعير ويلبس الخشن ويترك لذايذ الاطعمة كما كان يقدر
عليه سليمان عليه السلام فيتكثر فيقتحم في الشبهات ويخوض في المراءاة
والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديئة ليتيسر له تنعمه

فاذا تولى المال اخذ القوت وصرف الباقي الي الخيرات وما عداه
سم والافات واعلم ان الفقر محمود ينبغي ان يكون قانعًا منقطع
الطمع عن الخلق ولا حريصًا علي اكتساب المال ولا يمكنه ذلك الا بان
يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر علي اقله قدرا واخسه
نوعًا ويرد امله الي يومه والي شهره وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم كن ورعًا تكن اشكر الناس واحبب للناس
ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك
وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك تخرج القيد من رجلك واعلم
ان المال ان كان مفقودًا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة
الحرص وان كان موجودًا فينبغي ان يكون حاله الايثار واصطناع المعروف
والتباعد عن الشح والبخل عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان
يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق
والبخل وقال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها
لا تفني واذا ادبرت فانفق منها لانها لا تبقي وانشد لا تبخلن بدنيا
وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان
تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وقال الحسن بذل المجهود في بذل
الموجود منتهي الجود وقال النبي عليه السلام السخاء شجرة تنبت في الجنة
فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في ~~الجنة فلا يلج الجنة~~ النار

فلا يلج النار الا بخيل وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان
الشحيح هو الذي يشح علي ما في يدي غيره حتي ياخذه ويشح بما في يديه
فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه واعلم ان اربع درجات
السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه واقصي غاية
البخل علي نفسه مع الحاجة اليه فكم بخيل يبخل علي نفسه مع الحاجة اليه
وذلك يؤثر علي نفسه مع الحاجة اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق
عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء قال الله تعالى
ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن لطائف الحيل في علاج
البخل ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل علي قصد
الرياء حتي يسمح نفسه بالبذل طمعًا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه
خبث البخل واكتسب له خبث الرياء لكن ينعطف بعد ذلك علي الرياء
ويزيله بعلاجه وكذلك الاخلاق الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها علي بعض
كما يسلط الشهوة علي الغضب ويكسر سورته ويسلط الغضب علي الشهوة
ويكسر رعونتها به ولكن قد يقوي البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة
فيبقي العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء فما ثم الا الصبر
الي الموت واعلم ان المال خير من وجه وشر من وجه كما وصفناه
فينبغي ان يكون نيتك في كل ما تحفظه من قميص وازار وفراش
اعانة علي العبادة لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل
عن الحاجة ينبغي ان تقصد به عبدا من عباد الله فلا تمنعه عند حاجته

الجود
السماحة
الصفات

قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ بجميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد
واعلم ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات
الى تفصيل الاحوال وقد قال المحاسبي رحمه الله في حديث طويل عن
عيسى عليه السلام وقال يا علماء السوء بحق اقول لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون
الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك
الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن احب الدنيا وسرته ذهب خوف الاخرة من قلبه
ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان
ليوقع بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام
وبلغنا ان النبي عليه السلام قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول
من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك
ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه
وصنايعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال كسبه من
حلال للتعفف ولصنايع المعروف حتى منع من السعي الى الجنة مع
الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى
في فتن الدنيا فالعجب كل العجب لك يا مفتون يتمرغ في تخاليط الشبهات

والسحت وينقلب في الشهوات والزينة والمباهات ثم يحتج بعبد الرحمن
بن عوف واعلم ان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف
الفقر آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقاديره مسرورين في البلاء
راضين وفي الرخاء شاكرين وعن حب العلو والتكاثر ورعين واذا
اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته واذا راوا الفقر
مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين

الكتاب الثامن في ذم الجاه والرياء

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة
الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة
السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف
على غوايلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء ولذلك قيل
آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واعلم ان
اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود
الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه
فذلك ليس بمذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من
الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في
دينه ودنياه قال الحسن انما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه
وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وقال سليمان
بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه
بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع

وفتنة للمتبوع وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجيدة ~~والثياب الجيدة~~ والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما
جميعا وقال النبي عليه السلام لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس
باتباع الهوى وحب الثناء وقال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين جمع بين
ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين
جميعا وقال بعض المشايخ ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون
من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا **واعلم** ان من طلب
المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم والى التظاهر
بخصال حميدة وهو خالي عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه
اذا من المهلكات وكما لا يجوز له ان يملك مال غيره بتلبيس في عوض
او في غيره لا يجوز له ان يتملك قلب غيره بتزوير وخداع فان ملك
القلوب اعظم من ملك الاموال واقوى الطريق في قطع الجاه
الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل
في بيته في البلد الذي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة فيه فربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها
قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او
نسبوه الى امر غير لائق به تألمت نفسه ووجد معالجته ان يقطع
الطمع وطلب المنزلة عند الناس وان يعلم ان طلبك المنزلة عند الناس

ودرجك

ودرجك بما يسقط المنزلة عند الله فلا ينبغي ان يطمع طالب المال
والجاه وحب المدح وبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا
واعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح
الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد
على الذام ويكافيه وهذا حال اكثر الخلق وغاية درجات المعصية
في هذا الباب والثانية ان يغضب في الباطن على الذام ولكن
يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن
يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة
الى ما قبله كمال الحال الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوي
ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه العابد
موجودا ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وربما يشعر العابد
بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول
الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحتك فكيف
تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض
التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي
اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان
المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه
بمذمة غيره كما يجد بمذمة نفسه الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة
ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر

الحقد كينه ازفتن

الغم غمكين كردانيدن

مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مُهدي اليه عيبه واعلم
ان غاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهي ان يُضمر الفرح
على المادح والكراهة على الذام ولا يظهر بالقول والعمل فمن قدر
على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان
يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به
ولا يُرى فكيف بما بعده من المرتبتين واعلم ان اقصى درجاته
ان يكره ويغضب على المادح وهو صادق فيه لا ان يُظهر الغضب
وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه
الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد يتفاوت الحال في
حق الذام لو جاهد المريد نفسه طول عمره ان يستوي ذامه ومادحه
لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ مُعظم عمره وبينه وبين السعادة
عقبات كثيرة ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل
الشطر الثاني في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء واعلم
ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله
قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا
هذا لفظ الحديث
الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وعن
النبي صلعم حكاية عن الله عز وجل من عمل عملا اشرك فيه غيري
تركته كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام

اذا كان يصوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى
الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ
ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ويقال ان المرائي ينادى
يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ
اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل رحمه الله عليه كانوا
يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون وقال ايضا من
اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي واسم الرياء مخصوص بحكم
العادة لطلب المنزلة في القلوب بالعبادات والمرائي به هو الخصال
التي قصد المرائي اظهارها وانما كثرته ويجمعه خمسة اقسام هي مجامع
ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل
والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراءون بهذه الاسباب
الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات
اهون من الرياء بالطاعات واعلم ان الرياء في البدن وذلك
باظهار النحول والصفار ليعلم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن
على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل
وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك يرائي
بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ
لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه
الامور فارتاحت النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ومنها لبس

المرقع والصوف وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب من الساق
وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به
ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتدي بالصوفية مع الافلاس
عن حقائق التصوف في الباطن فمنهم من لو كلف ان يلبس ثوبا
وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح لخوفه ان
يقول الناس قد بدا له في الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب
في الدنيا ومنهم من يطلب القبول عند اهل الصلاح وعند اهل
الدنيا من الملوك والتجار فلو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء
ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء
فيريدون الجمع بين القبول من اهل الدين والدنيا فلذلك
يطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبغة
وقيمة ثوبهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه لون ثياب الصلحاء
فيلتمسون القبول عند الفريقين فكل طبقة رأى منزلته في زي
مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او فوقه خيفة من المذمة
ومنه الوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار
لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق
واظهار الغضب للمنكرات والرياء بالقول كثيرة وابوابه لا تنحصر
ومنه الرياء بالاعمال كطول القيام في الصلوة وتطويل السجود

والركوع وانواع الخيرات والاعمال التي لا تنحصر بالصوم والزكوة والحج
والغزو والصدقة وغير ذلك ومنهم من كلف نفسه في الخلوة بتحسين
العمل حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص به
من الرياء وقد تضاعف به رياؤه وصار في خلوته ايضا مرائيا لتحسينه لا لخوف
من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة
وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وحفظ
الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب
للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة
القلوب والتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطى والاخذ
باطراف الذيل والمراياة بالاصحاب والزائرين كالذي يتكلف ان
يستزير عالما من العلماء او عابدا من العباد او ملكا من الملوك
ليقال ان فلانا وكم من عابد اعتزل وقطع طمعه عن اموال
الناس ولكنه يحب مجال الجاه ولم يقع بعلم الله واعلم ان
طلب قليل الجاه بغير العبادات محمود وهو ما يسلم به عن آفات الكسب
قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان واعلم ان سعة الجاه
من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله لا ضرر فيه
فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه خلفاء الراشدين
ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهمة الى طلب الجاه
نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب

الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام
لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا فقس على هذا كل تجمل للناس
وتزيين لهم وقد قال النبي عليه السلام ان الله يحب العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم **واعلم** ان اغلظ الرياء الرياء باصل الايمان
وهو النفاق وصاحبه يخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة
وباطنه مشحون بالتكذيب وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع
كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون الاية وقوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ وكقوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا والرياء بفرائض العبادات مع التصديق باصل الدين
وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول كالرياء بالصلوة والزكوة
وصوم شهر رمضان فصاحبه يأتي بها عند اطلاع الناس ويتركه في الخلوة
للكسل فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق
وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى وهذا
غاية الجهل وصاحبه اجدر بالمقت وان كان غير منسلخ عن اصل
الايمان من حيث الاعتقاد والرياء بالسنن والنوافل التي لو تركها
لا يعصي كحضور الجماعة في الصلوة واتباع الجنازة والتهجد بالليل
وصوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعله المرائي لاجل
ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه
لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما تقدم

بيان رياء خفي وجلي

واعلم ان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل منه
ما يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد
كل ليلة فيثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط له وخف على
قلبه واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب
عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه لكن اذا اطلع عليه الناس
سره ذلك وارتاح له وهذا السرور يدل على رياء خفي منه اذ لولا التفات
القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس ولقد كان الرياء
مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر عند اطلاع الخلق اثر
الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك
بالكراهية يصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء واخفى منه ان
يحب اذا راى الناس ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة
والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه
في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على
قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي
اخفاها مع انه لم يطلع عليها ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة
لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه وكل ذلك يوشك ان يحبط
الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه
انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص
عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤون بالسلام الم يكن تقضى عليكم الحوائج

وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم واعلم انه مهما ادرك
العابد تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه
شعبة من الرياء فانه لو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر اطلاع
الناس عليه واعلم ان سرور العبد حين ستر الله القبيح واظهر
الجميل منه اذا كان بحسن صنيع الله وجميل نظره له لا بجهل الناس
وقيام المنزلة في قلوبهم محمود فقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على
عبد في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة واعلم ان من يعوّد نفسه
اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون
الفواحش حتى يقنع [illegible] باب دون الفواحش حتى يقنع قلبه
بعلم الله واطلاعه على عبادته فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك
يشق في بداية المجاهدة فاذا صبر عليه مدة هان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله
الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع
اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
واعلم ان اظهار العمل بالقول والفعل لا يجوز الا لنية
الاقتداء وانما يجوز ذلك لمن هو في محل الاقتداء به فاما من ليس بمحل
[gloss: الاقتداء ه]
الاقتداء به لا يجوز فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه

الى

الى الاظهار بعذر الاقتداء به وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به
وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا
[gloss: و ايشان اندک اند ه]
ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر وليس الاظهار
الطاعة عذرا الا لاهل الحذر الواجل [gloss: الاقتدار ه] واعلم ان اخفاء المعاصي يجوز
لحاجة المسلمين لئلا يقتدى بهم ولا يتعلم منهم اهلهم وولدهم وذكر يجوز
اخفارها بثمانية اوجه احدها هذا واعلم ان الصيحة والتنفس
[gloss: بانگ زدن ه — دم زدن ه]
والانين عند قراءة القرآن او الذكر وبعض مجاري الاحوال تارة يكون
[gloss: ناليدن]
من القلق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون ذلك
لمشاهدة حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن
وذلك محمود وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد
في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور وكذلك حفظ الدمعة
[margin: الزيادة رياء]
على الوجه لاجل الرياء وفي الخبر للرياء سبعون بابا واعلم ان
بعض الرياء اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل
وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب
النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود واعلم
ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع
طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله وحكي
ان ابن السماك قال لجارية له ما ليا اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة
قالت الجارية الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق
[gloss: تيز كرده]

عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده
ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخبايا ها في هذا الفن لا تنحصر
ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وا تتجرد لها
بالله وتبيت شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية عمرك والله اعلم بالصواب

الكتاب التاسع في ذم الكبر والعجب

روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في جهنم وقال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة من
كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه
مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطؤهم الناس
لهوانهم على الله وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب
وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله
فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك
جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته
تلك وقال رسول الله صلعم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت
وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا واوحى
الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه انما اقبل صلوة من تواضع
لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري

وكف

وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال بعضهم كما تكره ان يراك
الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة
ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال
الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وعن الجنيد انه كان يقول
يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال النبي صلعم
الكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين وقال ابو بكر الصديق رض
وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع واعلم
ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر الباطن هو خلق والظاهر هو اعمال
تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق فاذا ظهر على الجوارح
يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر وهو الاسترواح والركون الى روية
النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه
ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم
يخلق الانسان الا وحده يتصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا
الا مع الغير وهو ان يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال
فلو راى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولكن لو راى
نفسه فوق مرتبة الغير يعتقد ذلك الاعتقاد يحصل فيه خلق الكبر
وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه هزة وفرحة فتلك الهزة

بيان فرق ميان كبر وعجب

خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة
الكبرياء وقال عمر رضي الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا الذي
استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح واعلم انه مهما عظم عنده قدره
بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وترفع عن مجالسته ومواكلته
ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان
اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه
فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في مضايق
الطريق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد
ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد
عليه وان وعظ استنكف من القبول وان رد عليه شيء من قوله غضب
وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم
واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واحتقارا
واعمال العادة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى وانها
مشهورة وقل ما ينفك عنها العباد والزهاد والعلماء فضلا من عوام
الناس والكبر صار حجابا من الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق
المؤمنين التي هي ابواب الجنة لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين
ما يحب لنفسه ولا على التواضع الذي هو راس اخلاق المتقين
ولا على ترك الحقد والحسد والغضب فصاحب العز والكبر مضطر
اليه ليحفظ بها عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من

واعلم

واعلم ان افحش انواع الكبر التكبر على الله وهو ان يدعي
الربوبية ويستنكف ان يكون عبدا لله مثل دعوى فرعون لعنه الله انا
ربكم الاعلى ومثل دعوى نمرود وغيره فانهم استنكفوا واستكبروا عن عبادة الله
واطاعة رسوله واعلم ان الخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء
عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله واعلم ان المتكبر
اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده
ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون
عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما يتباحثون
حتى اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده
والاحتيال لدفعه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين
ومن التكبر ان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل من غيرهم فيخاف
عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان
يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي
يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله عليه وهذا
يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء واعلم ان العمل والعبادة لا يخلو عن رذيلة
العز والكبر فان الناس بالعبادة والزهد يرون غيرهم بزيارتهم اولى
من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم
وتوقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم

على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء
وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق ومنهم من يرى نفسه ناجيا
والناس هالكين وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلعم
اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وهذا القول يدل على
انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته
وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره وروي ان رجلا في بني اسرائيل
يقال خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل
وكان على راس العابد غمامة تظلله فلما مر الخليع به فقال له الخليع
في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه
لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا
خليع بني اسرائيل كيف اجلس فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي
ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل
العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك
ان الله تعالى يطلب من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع
وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع بقلبه وهو اطوع لله من العالم
المتكبر والعابد المعجب ومن علامات المتكبر الترفع في المجالس والتقدم
على الاقران والاظهار الانكار على من قصر في حقه والذي في ذلك في العالم
ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه
ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس وليس يعلم المسكين ان الورع

ليس في الجبهة حتى يقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى
يصعر ولا في الرقبة حتى يطاطي ولا في الذيل حتى يضم انما الورع
في القلوب قال عليه السلام التقوى ههنا وقد يظهر التكبر في مشية الرجل
وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وتقلباته في احواله واقواله
فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض
فمنها ان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه
من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد
وبين يديه قوم قيام وقال انس رضي الله عنه لم يكن شخص احب اليهم
من رسول الله صلعم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته
ومنها ان لا يمشي الا وغيره معه يمشي خلفه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار
اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب
ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير ومنها ان
يستنكف جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه ومنها ان يتوقى
مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنها وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته
ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله
الى بيته وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب
الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق

يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق
للامير يا ابن ابي مالك وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله
في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق ان
يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
البذاذة من الايمان ومعنى البذاذة الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت
عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر
رقعة بعضها من ادم وقال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء
القلب وقال النبي عليه السلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء
وجهه كان حقا على الله ان يدخره عبقري الجنة وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق
وغمص الناس واعلم ان اللبس الجيد ليس من ضرورته ان يكون
من التكبر في حق كل احد في كل حال فان الاحوال تختلف في مثل هذا
والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة
وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية
وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح واعلم
ان التواضع سيرة رسول الله صلعم قال ابا سعيد الخدري رحمه الله يحكي
عن اخلاقه عم بانه كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب
الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى
ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله

في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير
ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد
من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي ان يجيب
اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل
لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة
جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس
شديد من غير عنف متواضع من غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل
ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتبشم قط من شبع ولم يمد
يده الى طمع فلما سمعت عايشة رضي الله عنها حقا لئن صدقتني وزادت ولم
يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه
من اليسار والغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي ليلة حتى يصبح
فلا يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتيه بكنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى
من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا
بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي
العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي
غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي

قالت عائشة رضي الله عنها فما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى
فمن طلب التواضع فليقتد به ومن لم يرض لنفسه بما هو رضي به فما اشدّ
جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عزّ ولا رفعة
الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام
فلا نطلب العزّ في غيره لما عوتب في بذاذة هيأته عند دخوله الشام
واعلم ان من ادعى البراءة من الكبر فليجرب بافعال المتواضعين
في مواقع هيجان الكبر من النفس والامتحانات كثيرة منها قبول الحق من
كان فان ثقل عليه قبوله والاعتراف به فذلك يدل على ان فيه
كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه بالاقرار بالعجز والشكر له بان
يقول جزاك الله خيرا كما نبهتني فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها
ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا هو واظب على ذلك مرات متوالية
صار ذلك له طبعا وسقط ثقل قبوله فان ثقل عليه في الملا والخلوة
ففيه كبر ورياء وان ثقل في الملا دون الخلوة ففيه رياء وليس
فيه كبر فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ومنها المشي
خلف الامثال والاقران والجلوس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه
فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فهاهنا للشيطان مكيدة
وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض
الاراذل فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف
على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقار والتفضل

بل ينبغي

بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال
فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن ومنها اجابة دعوة الفقير
والمرور الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب وان يحمل حاجة
نفسه وحاجتهم الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان
يثقل عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان يثقل عند مشاهدة
الناس فهو رياء ومنها ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن
ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد
آكل بالارض والبس الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب
دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني فليعرف ان ما يختص
بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر واعلم ان من لا يعرف
الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه واعلم ان هذا الخلق كسائر
الخلق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى
تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يميل الى النقصان يسمى تخاسسا
ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود التواضع من غير مذلة وتخاسس
وكلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن تقدم على امثاله
فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه
والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم
وسوى نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا
غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه

فينبغي ان يتواضع بمثل هذه الامثال ولمن يقرب درجته فاما تواضعه
للسوقي بالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته
والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يري لنفسه خيرا بل يكون
علي نفسه اخوف منه علي غيره فلا يحقره ولا يستصغره فهو لا يعرف خاتمة
امره وخاتمته فاذا ابيا في الكتاب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن
دونهم حتي يخف عليه التواضع المحمود فان ثقل عليه فهو متكلف
لا متواضع وان خف عليه وصار عنه الفعل بسهولة فهو متواضع خلق
ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتي احب التملق
والتخاسس فقد خرج الي طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن
ان يذل نفسه الي ان يعود الي الوسط الذي هو الصراط المستقيم
الشطر الثاني في العجب قال النبي صلي الله عليه وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوي متبع واعجاب المرء بنفسه وقد قال الله تعالي فلا تزكوا
انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقيل
لعايشة رضي الله عنها متي يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن
وقال مطرف لان ابيت نايما واصبح نادما احب الي من ان
ابيت قايما واصبح معجبا ومن اعظم آفات العجب انه يفتر في السعي
بظنه انه قد فاز وقد استغني وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه
وفي الخبرات صاحب المذلة لا ترتفع فوق راسه وقال قتادة
في قوله تعالي ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك والعجب استعظام

النعمة والركون عليها مع نسيان اضافتها الي المنعم وحقيقة العجب
تكبر في الباطن بتخيل كمال من علم او عمل فان كان خايفا علي
زواله فهو غير معجب وان كان يفرح به لكونه نعمة من الله فهو ايضا
ليس بمعجب بل هو مسرور بفضل الله تعالي وان كان ناظرا اليه من
حيث انه صفته غير ملتفت الي امكان الزوال ومن حيث انه عطية
من الله تعالي ومنسوب اليه بانه منه فهذا هو العجب والعجب والادلال
من مقدمات الكبر واسبابه والله اعلم بالصواب

الكتاب الثالث في ذم الغرور والغفلة

اعلم ان مفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور
والغفلة فالموفق من الهلاك من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ
منها حذره وبني علي الحزم والبصيرة امره واعلم ان المغرور
بالدنيا اذا اقبلت عليه الدنيا [illegible] ظن انه كرامة
من الله واذا صرف عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالي عنه فاما
الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قال
الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا هوانه
ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته
بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وقال الله تعالي فتحنا عليهم ابواب كل
شيء حتي اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون

وقال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وتفسير قوله
سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبا احدث الله لهم نعمة فيزيل غرورهم الى
غير ذلك من الايات والاخبار التي وردت في حق المغترين واما
ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت
عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والامهال واذا اقبل عليهم الفقر
قالوا مرحبا بشعار الصالحين **واعلم** ان منشا الغرور الجهل بالله
وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال خيالاته بل ينظر الى قارون
وغيره كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر تعالى مكره
واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون **واعلم** ان
قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته قول صحيح
مقبول لكن غرور الشيطان فان الشيطان لا يغوي الانسان
الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن الظاهر لما انخدع
به القلب فاعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع
به الجهال فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه والخوف
شيا هرب منه والخوف والرجاء قايدان وسايقان يبعثان على العمل
وما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب
فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم

السعي

السعي للاخرة قال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله
جهلا واستفتي الحسن عن مسالة فاجاب فقيل ان فقهارنا لا يقولون
ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه القايم ليله الصايم نهاره
الزاهد في الدنيا **واعلم** ان من رغب في طلب الدنيا واقبل
على الرياسة واعرض عن الاخرة فهو دجال الدين وقوام مذهب
الشياطين لا امام الدين لان الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض
عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال
هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا
فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حيوته ومثاله كما قال عيسى صلوات الله عليه
للعالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي
تترك الماء يخلص الى الزرع والكتاب غرور اهل العلم في هذه الاعصار
المتاخرة خارج عن الحصر **واعلم** ان من ظن بنفسه انه موصوف
بصفات المحمودة فليجرب نفسه على طريق الامتحان ودعواه بان يدعي مثلا
حب الله فالذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فالذي
امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فالذي تركه مع القدرة عليه لوجه
الله تعالى ويدعي الانس بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة وتوحش
عن مشاهدة الخلق فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات
ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق والمغترون
يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الاخرة

يفتضحون واعلم ان اهل السلوك اذا انفتح لهم ابواب المعرفة

وشمّوا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم

غرايبها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح

بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكلّ ذلك غرورات عجايب طريق

الله ليس له نهاية فلو وقف مع كلّ اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم

عن الوصول الى المقصد فانّ لله سبعين حجابا من نور ولا يصل

السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه وصل

يغتر في الوقوف

ومالك هذا الطريق قد تعبّر الوقوف على بعض هذه الحجب

وقد يغتر بالحجاب الاول والحجاب بين الله وبين العبد

هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني القلب

الذي يتجلى فيه حقيقة الحق حتى انه يتسع لجملة العالم ويحيط به

ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما

اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب

بمشكاة هو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد

اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى

من جماله الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول

انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك

وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى

القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس

لون ما يتراءى في المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل

رقّ الزجاج ورقّت الخمر ۞ فتشابها وتشاكل الامر ۞ فكانما خمر ولا قدح

وكانما قدح ولا خمر ۞ وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا

اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه وانواع الغرور في طريق السلوك

الى الله لا تحصى في المجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة

وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعلّ الذي ذكرناه ايضا لا اولى تركه

اذ السالك لا يحتاج الى التعلم من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه

بل ربما يستضر به اذ يورثه دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه

فايدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر

اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجداله المزخرف

ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى

فان قلت فما الحيلة بعد هذا التعظيم فانك ذكرت ان جميع هولاء

الفرق لا يخلو عن انواع الغرور فالجواب انه لو وضح منك الهوى ارشدت للحيل

والله اعلم بالصواب **الكتاب الاول من ربع المنجيات في التوبة**

اعلم ان التوبة واجبة بالايات والاخبار فقد قال الله تعالى

وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وهذا امر العموم

وقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ومعنى النصوح

الخالص لله خاليا عن الشوايب ويدل على فضل التوبة قوله عليه السلام

التائب حبيب الله وقوله التائب من الذنب كمن لا ذنب له

ومعنى التوبة ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال
وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وقال سهل التستري
التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة
والصمت واكل الحلال واعلم ان الصغير يكبر بالاصرار والمواظبة
ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفي الخبر
المومن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق
يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعض الصحابة للتابعين
انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات فيقال تحرّج القلب عند
شعوره بفوات المحبوب طول التحزن والحزن وانسكاب الدمع وطول
البكاء فكلما كان الم الندم اشد كان تكفير الذنب به ارجى والندم
توبة للحديث وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علاماته
ان يتمكن في قلبه مرارة تلك الذنب بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل
كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال لبعض
انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة
ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض
ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فوجدان
التائب مرارة الذنب بعلمه ان كل ذنب ذوقه ذوق العسل وعمله
عمل السم والقصد التوبة لا يمكن هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان

الموبقات

الحسرة

جالسوا

عز

عرفت التوبة فلا توبة التائب الا مرضيا عن الله تعالى استشهادا بالذنب
حتى اعليه فهذا شرط تمام الندم وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي تدارك
ما قصر من اول البلوغ بالسن او الاحتلام فينظر الى الطاعات ما الذي
قصر فيها والى المعاصي ما الذي قارفها فيقضي ما فاته من الصلوة من
وقت البلوغ فان شك في عدد ما فاته ترك القدر الذي يستيقن انه
اداها ويقضي الباقي وله ان ياخذ بغالب الظن على سبيل التحري
والاجتهاد وكذا في سائر العبادات من الزكوة والصوم والحج فان قضى كل
قبل القضاء كان عاصيا [illegible] ومعاصي فينبغي ان يفتش من اول
بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفرجه وبطنه وسائر
جوارحه حتى يطلع على جميعها صغارها وكبارها ثم ينظر فيما كان
ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى
غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء واعتقاد
بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة
عنها بالندم والتحسر عليها ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها اخذا
من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع القرآن
ومجالس الذكر ويكفر قعوده في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة
ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة
تقبيله وتعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة

وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها
بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل
سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها والرجاء في المحو بهذا الطريق اصدق
والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان
كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فقد جاء في الآثار ان يصلي عقيب الذنب
ركعتين ثم يستغفر الله بعده سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم
وبحمده مائة مرة ثم يتصدق صدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاخبار
يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي
اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر
والعلانية بالعلانية وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب
العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فتكون
كفارة لذنوبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها
الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة فان قلت هم الانسان
غالبا بماله وولده وجاهه وهي خطيئة فكيف يكون كفارة **فاعلم**
ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد
روي ان جبريل دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له
كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال
(اي يعقوب عليه السلام)
فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله
واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله فان الله

ان من الذنوب

نهي عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم
والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها
فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه
الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين
واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس
باعتاق الرقاب ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن
مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض
او القلوب اما في النفوس فان جرى عليه قتل خطاء فتوبته
تسليم الدية ووصولها الى المستحق ولو كان عمدا موجبا للقصاص
فلا يجوز له الاخفاء بل يجب عليه ان يعترف عند ولي الدم فان شاء
عفا وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا وليس هذا كما لو زنى او شرب
او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله فانه لا يلزمه في التوبة
ان يفضح نفسه ويهتك ستره بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله
على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله
قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام
عليه الحد وقع موقعه ويكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى
بدليل قصة ماعز بن مالك فقد قال عم في حقه لقد تاب توبة لو قسمت
بين امة لوسعتهم وقصة الغامدية لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سب خالد بن الوليد اياها قال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده
لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وان كان المتناول

العرض آبرو واعراض

فالقصاص اي فتوى القصاص

مالا تناوله بغصب او خيانة في معاملة بنوع تلبيس كترويج زيف او ستر
عيب من المبيع او نقص اجرة اجير فكل ذلك يجب ان يفتش عنه
وليحاسب نفسه على الجنايات والزلات من اول يوم حياته الى
يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة وليناقش قبل ان يناقش
فمن لم يحاسب في الدنيا نفسه طال في الاخرة حسابه فليرد حق المالك
ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به واما الجناية
على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او يغيبهم في الغيبة فيطلب
كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل
ولا حلال منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير
الحسنات لتؤخذ عوضا في القيامة وعليه ان يعرف قدر جنايته وتعرضه
له وقت الاستحلال فان الاستحلال المبهم لا يكفي فان كانت الجناية لو ذكره
وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى
عيب من خفايا عيوبه فقد انسد عليه طريق الاستحلال وليس له الا
ان يستحل مبهما ثم يبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة
الميت والغائب وليس عليه ان يعرفه فانه سيئة جديدة يجب الاستحلال
منها ومهما ذكر الجاني جنايته للمجني عليه وعرفه ولم يسمح نفسه بالاحلال
بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى
في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه
فان القلوب جبلت على حب من احسن اليها وينبغي للتائب

ان يعقد مع الله عقدا موكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى
الذنوب فيجزم عزما جزما في الحال وان كان يتصور ان يغلبه الشهوة
في ثاني الحال لانه لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتم ذلك للتائب
في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت
حلال فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار
عليه ومن لا يقدر على ترك الشهوات قال بعضهم من صدق في ترك
شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب
واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليها ابدا والله اعلم بالصواب

الباب الثاني في الصبر والشكر

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين انما ينتظم من ثلثة
امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث
الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان
والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى
فالصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة والعمل وهو كالثمرة فقال
بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى
وهذه درجة التائبين والثانية الرضى بالمقدور وهذه درجة الزاهدين
والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وكان هذا
الانقسام يجري في صبر على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر
عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى

المحظور محظور لكن يقطع به اربه ولذاته وهو يصبر عليه ساكتا
ولكن يقصد حرمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة
ويسكت على ما يجري على اهله والصبر المكروه هو الصبر على اذى
يناله بجهة مكروهة في الشرع فلا يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد
بر انواع من الصبر مخصوصة وقال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر
في القران على ثلثة اوجه صبر على اداء فرايض الله فله ثلثمائة
درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر في المصيبة
عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وكان بعضهم اذا قرا هذه الاية
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى
واثنى اي هو المعطي للصبر وهو مثني وقال داود لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المومن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن
الرضى فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات ويقال ان امراة
فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين
الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه والله اعلم

الشطر الثاني في الشكر اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين
وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل العلم هو الاصل وهو يورث
الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم
والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو محبوب
المنعم ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان اما بالقلب

فقصد

فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى
بالحمد له واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته فشكر العينين ان يستر
كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه وكذا سائر
الاعضاء يستعمل بما هو يليق به وسائر المقامات ايضا ينتظم من علوم
واحوال واعمال فلاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال
والاحوال تراد للاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر
عندهم بالعكس فان الاعمال عندهم تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال واحاد الاعمال يتفاوت
اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد الاحوال واحاد المعارف
وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة فان علوم
المعاملة تراد للمعاملة وفائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة
على العابد اذا كان يعلم ما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص
افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر
فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب
ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة
معرفة الله سبحانه وتعالى فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة
ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها
في الاخرة وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها
فانها انما تراد لاجلها واما الاحوال فنعني بها تصفية القلب وتطهيره

عن

من شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا انقدح له
حقيقة الحق واما الاعمال فان تاثيرها في تأكيد صفات القلب وجلب
الاحوال اليها بكثرة واعلم ان للصبر والشكر درجات واول
درجات الصبر ترك الشكوى مع الكراهة واعلاها الرضى وهو مقام
وراء الصبر ووراءها الرضى اذ الصبر مع الالم والرضى يمكن بلا الم
فيه والفرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به ودرجات الشكر
كثيرة فمن جملتها حياء العبد من تتابع نعم الله عليه فانما هو شكر ومعرفته
بتقصيره عن الشكر شكر وقال غيره ومن قال الشكر شكر ومعرفة تعظيم
جلال الله شكره والعلم بان الشكر نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر
وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال
صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله واستعظام صغر
النعم شكر واعلى درجة الشكر ان لا يفرح الا بنعم الله الا من حيث
انه يتقرب بها على التوصل الى القرب والنزول في جواره والنظر
الى وجهه على الدوام واما الاشياء لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة
الآخرة ومعينة عليه ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده
عن سبيل الله وقال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية
النعمة وهذه رتبة لا يدركها من لم تحضرت عنه اللذات في البطن
والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلى عن لذة
القلب فانه يلتذ بذكر الله ومعرفته ولقائه وقال الخواص

شكر العامة من المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب
فكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله
ليصل بها اليه ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

الكتاب الثالث في الرجاء والخوف

اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين
وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام ويسمى حالا اذا كان عارضا
سريع الزوال والرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب فاسم
الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة
تحت اختيار العبد فالعبد اذا ابث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله
حسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا
باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب
المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات
وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا
ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال يحيى بن معاذ
من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو
من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة
وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي

والانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فقال علي
رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى
ولا يؤمنهم من مكر الله تعالى **واعلم** ان هذا الزمان زمان لا ينبغي
ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف
ايضا تكاد لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فذكر اسباب
الرجاء يهلكهم ويردهم بالكلية لانه حق لا ريب وفيمن غلب عليه الخوف
فذكرها في حقهم نافع وليستعمل الواعظ اسباب الخوف والرجاء بحسب
الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان
كل شيء من الادوية صالح واسباب الرجاء من الايات والاخبار
والاثار خارج عن الحصر فمنها قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وكان
وكان ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم يقول انتم اهل العراق
تقولون ارجى اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله تعالى
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي تفسيره ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا كريم العفو فقال جبرئيل عليه السلام اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان
عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وقال عم ان الله تعالى
شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرمه

تفسير يا كريم العفو

من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون
كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة
والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم عند الله تعالى من الملائكة وروي
محمد الحنفية عن علي رضي الله عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح
الصفح الجميل فقال يا جبرئيل ما الصفح الجميل اذا عفوت عمن ظلمك
فلا تعاتبه فقال يا جبرئيل فالله تعالى اكرم من ان يعاتب من عفا عنه
فبكى جبرئيل فالله تعالى وبكى رسول الله عليه السلام فبعث الله
اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب
من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي وقال علي رضي الله عنه من اذنب
ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الاخرة
ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فان الله تعالى اعدل من ان يثني
عقوبته على عبده في الاخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي
الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف
المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن ابصار الملائكة كيلا تراه
فتشهد عليه الشطر الثاني في الخوف **اعلم** ان الخوف عبارة
عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال واعلم
ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع الا ان اسباب
الخوف كثيرة فمنها خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة

تلك العمل او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل
الطاعات حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف البطر بكثرة
نعم الله او خوف الاشتغال عن الله تعالى بغير الله او خوف الخاتمة
او خوف السابقة التي سبقت له في الازل واعلى الاقسام واد[illegible]
على كمال المعرفة خوف السابقة والخاتمة تبع السابقة ولذلك
قيل خوفه وان كان في طاعة الصديقين قال اذا قيل لك هل تخاف الله
فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى
ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات
وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث النفس والخوف من المعصية خوف الصالحين
والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى
فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف
من غير جناية بل المعاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف
المعصية فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى العليين من
غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين
من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فانه
من اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعات وآتاه القدرة والذي
عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة
فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعة
عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه

ودوام هذا المعنى سر الله الذي لا يجوز افشاؤه وقد جاء في الخبر
ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع
الضاري وهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يفهمك على
سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله
فمن عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اجلى من المشاهدة
الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار
ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء
وعدم المبالاة ومنها خوف سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب
القبر او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر
والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف عن الصراط وحدته وكيفية
العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان
عن الجنة دار النعيم والملك المقيم او الخوف من الحجاب عن الله تعالى
ويختلف احوال الخائفين فيها من العابدين والصالحين والزاهدين
وكافة العالمين واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب من الله تعالى
وهو خوف العارفين ومن لم يكمل معرفته ولم ينفتح بصيرته لم يشعر
بالم البعد والفراق ولا بلذة القرب والوصال واذا ذكر له ان العارف
لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب
منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع
اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه

لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين بالنظر
الى الالوان وطراوة وجوه الحسان وبالجملة كل لذة يشاركه البهائم فيها فاما لذة
العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس
اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له
وقال الواسطي الخوف بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر
الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة للرجاء والخوف والجملة فالمحب
اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في
الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات واعلم ان لا سعادة
للعبد الا في لقاء مولاه والقرب ولا وصول الى سعادة لقاء الله في
الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة
ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر والذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر
والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يقمع الشهوات بشيء كما يقمع بنار الخوف ويختلف
ذلك باختلاف درجات الخوف قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال احمد بن حنبل سالت الله عز وجل ان
يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رسول الله
يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر
ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكاء من
كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة

ان الله

وقيل كان الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه
فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله
فيقول يا جبرئيل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وقال زكريا
يوما ليحيى صلوات الله عليهما يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر
عيناي بك فقال يحيى صلوات الله عليه يا ابت ان جبرئيل عم اخبرني ان
بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا فابك
يا يحيى وكان يحيى اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي
زكريا صلوات الله عليه لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت
دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو
اذنت لي اتخذ شيئا تواري به اضراسك من الناظرين الى قطعتي لبود
فالصقتها على خديه وكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه
في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على
ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت
ارحم الراحمين قال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقالت عائشة رضي الله عنها
قلت يا رسول الله ايدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال نعم من
ذكر ذنوبه فبكى وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق
وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفا باول
منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة

وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى
يسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب وقال
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله تعالى احب
الي من ان اتصدق بالف دينار والله اعلم بالصواب

الكتاب الرابع في الفقر والزهد

اعلم ان لا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد
منها والانقطاع اما ان يكون بانزوائها عن العبد فيسمى ذلك فقرا واما
بانزواء العبد عنها فيسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة
واعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما يحتاج اليه ولهذا المعنى
يسمى فاقد المال فقيرا وله عند الفقد احوال احدها ان يكون بحيث
لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له محترزا
من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد والاخرى ان يكون
بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله فلا يكرهه كراهة يتاذى به
ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا والاخرى ان يكون
وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ
من رغبته ان ينهض بطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به
وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة
نسميه قانعا والاخرى ان يكون ترك الطلب لعجزه والا فهو راغب
فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او مشغول

بالطلب وصاحب هذه الحالة تسمى حريصا قال النبي صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل
الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك
لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج
يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ
بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف
وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخله الجنة وقال النبي عليه السلام
اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا
يا رسول الله ما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا الى
من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به
الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت
فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولاد المهاجرين ونظرت
في اسفلها فاذا فيهم من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم
قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء
فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف
ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله
يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني
لا اراك فقال ولم قال كنت احاسب بمالي وفي الخبر آخر الانبياء
دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر اصحابي

دخل الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وادعى رسول الله صلعم
لعائشة رضي الله عنها ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء
واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وقال الحسن
لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرا وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الاية وقال سليمان تنفس
فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال
رجل لبشر بن الحرث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال
لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت فان
دعاءك افضل من دعائي وقال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع
الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني
ثقة بالله عز وجل وقال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم
انه مرائي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين
اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته
فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء
وطمعا في العطاء وينبغي للفقير ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه
فان ذلك جهد المقل روي زيد بن اسلم انه قال قال رسول الله صلعم
عليه السلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف
ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف فتصدق
بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة من نفسه فصار صاحب

الدرهم افضل من صاحب مائة الف وللفقير في الادخار ثلث درجات
احداها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين
والثانية ان يدخر لاربعين يوما ما زاد عليه داخل في طول الامل
وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى صلوات الله عليه
ففهموا الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين
والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين
ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت
سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم
وليلة واعلم ان اعطاء المعطي لا يخلو اما ان يكون لتطييب
قلب المعطى عليه وطلب محبته وهو الهدية او للثواب وهو الصدقة
او الذكر والسمعة اما الاول هو الهدية فلا باس بقبولها فان
قبولها سنة رسول الله عليه السلام ولكن ينبغي ان لا يكون فيه منة
فان كان فيه منة فالاولى تركها وكان صلى الله عليه وسلم يقبل
من بعض الناس ويرده على بعض وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها
خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي عم انه قال من اتاه رزق
من غير مسالة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها
درهما ورد سائرها وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله
فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا ومتى اعيش الى

قلبه

او للذكر

فقال

ان اكل فقال ما اُريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوى

والطيبات فعل فقال الخراساني ما احد يدخل الآن علي مثلك

فقال الجنيد وما ينبغي ان يقبل الا من مثلك والثانية ان يكون

للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات

نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة

وذكر تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة ولما كانت صدقة وكان

يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر

يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق

عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن

فان اخذه حرام محض والثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء

والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون

معينا له على غرضه الفاسد كان سفيان الثوري يرد ما يعطي

ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا لاخذت وينبغي

للآخذ اذا كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي

ذكرناها ان لا يرده وقال عليه السلام من اتاه من هذا المال من

غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر

فلا يرده وقال بعض العلماء من أُعطي ولم يأخذ سال ولم يعط

وقال بعض العلماء تخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلي

بطمع او دخول في شبهة او غيره فاعلم ان الزكاة على قبول الحاجة

انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة

يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى

انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فان اخذ الزيادة

الزيادة وصرفتها الى محتاج فهو غاية الزهد لا يقدر عليه الا الصديقون

ولا تدخر فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة فقد تصدى

لخدمة الفقراء جماعة اتخذوه وسيلة الى التوسع في المال والتنعم

في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك وقال موسى صلوات الله عليه

يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا

يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري

ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم ولا ينبغي

ان يزكي المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور واعلم ان

السؤال حرام وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة

وانما يكون حراما لان فيه اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار

للفقر وذكر لقصور نعمة الله وهو عين الشكوى ولان فيه

اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه

لغير المولى ولانه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا يسمح نفسه

بالبذل عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على

الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه

في صورة البخلاء والسبب هو السائل في الايذاء والايذاء حرام وكان بشر رحمه الله

يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا
مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذه
فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الفاقة
فهذا مع الصديقين من اصحاب اليمين والله اعلم الشطر
الثاني واعلم ان الزهد عبارة عن الرغبة عن الدنيا عدولا
الى الاخرة وعن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا
والزهد يوجب ترك المرغوب بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها
ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات
ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على
اليد والعين وساير الجوارح وظايف الطاعات فاذا وفى بشرط
الجانبين في الاخذ والترك وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب
سلم اليه الغايب قال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد
في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو على الدرجات
فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ودخل محمد بن واسع
على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك
الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال
اكره ان اقول زهدا فازكي او فقرا فاشكو ربي وقال الحسن
لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني
ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية قال النبي عليه السلام اذا اراد الله

في الزهد ه

نفيس ه

١١٨

بعبد شرا هلك ماله في الماء والطين وقال عليه السلام كل نفقة
يوجر عليها العبد الا النفقة في الماء والطين ثم قوله تعالى تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا الا الرياسة
والتطاول في البنيان ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى
صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه
الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد
لي يا هامان على الطين يعني الاجر فقيل ان فرعون هو اول
من بني له بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة
وقال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضربت بيدي الى السقف وهي سعفان عن النظر الى بناء
مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالنظر معين عليه وكان السلف
يستحبون استعمال الة واحدة في اشياء للتخفيف ولا يكرهه ان يكون
له بعد كل حاجة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد
او في نفسه الجنس خرج من ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول
وقال ابو سليمان الداراني كلما شغلك عن الله من اهل ومال
وولد فهو عليك مشوم وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل
قلبه بثلث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج واعلم
ان التزوج اذا كان شاغلا عن ذكر الله فترك ذلك كان من الزهد وان لم
يكن شاغلا ولكن ترك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة

تبعهما ه

معين ه

الخسيس ه

والمواضعة فليس هذا من الزهد فان الولد مقصود لبقاء نسل وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره وهو كترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا عن لذة الاكل والشرب فليس ذلك من الزهد لان في تركه فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله وقال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة الشريفة وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة من الدنيا الى الدين وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين فمن رد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم ومن الرخصة الناجية والمقتصر على قدر الضرورة لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين ويدل عليه ما روي ان ابرهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه اليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الاخرة وقال رجل ليحيى بن معاذ متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين قال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط

فالاولى كالقشرة العليا من الجوز والثانية كالقشرة السفلى والثالثة كالدهن المستخرج من اللب احيا

الزاهدين جهل ثم انك لتفتضح والله اعلم

الكتاب الخامس في التوحيد والتوكل

اعلم ان للتوحيد اربع مراتب الاولى ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وهو ان يرى اشياء كثيرة لكن يراها صادرة عن الواحد والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان فيعتصم صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا وقد انكشف له الحق كما هو عليه فلا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لانه كلف قلبه

التوحید یکی دانستن و یکی گفتن و یکی کردن در دل

كما هو عليه

ان يحتقل على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العو[illegible]ب
اذلم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد والرابع موحد بمعنى ا
في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه
واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فان قلت كيف
يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وساير الاجسام
المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا
غاية علوم المكاشفات واسرارها لا يجوز ان يسطر في كتاب
فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر وهذه المشاهدة
لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرا كالبرق الخاطف
وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين الحلاج حيث
راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت فقال ادور في
الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين
قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد وكان الخواص
كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذا
مقام الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال الشطر الثاني في التوكل
اعلم ان التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى
فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى
المفوض اليه متوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به

ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا ولم يعتقد فيه عجزا
ولا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب والطمانينة وللتوكل ثلث درجات الاولى
ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كثقته بالوكيل
والثانية ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه
لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق
بذيلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه
يا اماه فمن كان تالهه الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف
به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا وهذا قد فني في توكله
الى المتوكل عليه فقط واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب
وليس فانيا عن توكله والثالثة ان يكون بين يدي الله في حركاته
وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى
نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما يحرك يد الغاسل الميت
ولا يفارقه الا في انه [illegible]
يد الغاسل الميت وقال ابو علي الدقاق التوكل على ثلث
درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده
والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وقال ابو موسى
الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا

الفزع ناه
جستن
عن توكله

يقولون لولا السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك
لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لولا ان اهل الجنة في الجنة
يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تميز عليهما خرجت
من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى حال التوكل
وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول
التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله فعله بالواجب فلا تميز
بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة
وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم
الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات واعلم ان
مفارقة الامصار والقوافل والمسافرة في البوادي التي لا يطرقها
الناس الا نادرا والسفر من غير زاد ليس شرطا في التوكل بل استصحاب
الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون
الاعتماد على فضل الله لا على الزاد ولكن فعل ذلك جائز وهو
من اعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله الخواص ونظراؤه
وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته
على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او تثبيته على الرضى
بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك وحكي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا

في الجنة

ما فعله الله

حتي

فقعد له

حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق
فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار
وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا
بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى
اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان
ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي
والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون الاسباب
لا يناقض التوكل فلو انحاز الى شعب من شعاب حيث لا ماء فيه
ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك
نفسه وان توكل المحتاط المحتوز حقهم الان يساعده على الصبر
على الجوع مدة وعلى الاعتلال بالموت عند الجوع رزقا وغنيمة
في الاخرة فله ان يتوكل في حقهم وكذا في نفسه فان كان يضطرب
عليه قلبه وتتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان
ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد
ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي
لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة ايام
وقال ابو علي الروذباري اذا قال الصوفي بعد خمسة ايام

الجبال

عند الم

انا جايع فالزهد لا دومه بالكسب واعلم ان من كان يتفرغ
بترك الكسب للفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة
وكان الكسب يشوش عليه وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس
في انتظار من يدخل ويحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر
والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت
ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب
سوال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون
ياخذون ما يستشرف اليه نفوسهم قال ابو سعيد الخراز
بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت
ثم فكرت في نفسي باني سكنت واتكلت على غيره فاليت ان لا ادخل
المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت
جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في جوف الليل عاليا يا اهل
المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة
فاخرجوني وحملوني الى القرية واعلم ان للتوكل مقام من
مقامات الذين يستعان به على التفرغ لله لا للبطالين والتوكل
فان اشتغلت ما بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فالاهتمام
بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة

فاصابتني

التردد

شعر جرى قلم القضا بما يكون ... فسيان التحرك والسكون ... جنون منك ان
تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين ... الا ان من ياخذ من ايدي
الناس ولا ياكل من كسبه فذلك وجه يليق بالعالم العامل الذي
سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب
يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد
من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة
للمعطي على نيل الثواب واعلم ان ترك الادخار لا يجوز
الا لمن لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي
الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان
يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر
فالادخار له اولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله
ورب شخص شغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور
ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محظورة لا وجودها ولا
عدمها ولذلك بعث رسول الله صلعم الى اصناف الخلق وفيهم
التجار والمحترفون لم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك
حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى
للتجارة والاحتراف ... بالتجارة والاحتراف
وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا
الى الله وعمدة الاشتغال بالله القلب فصاحب الضعيف الادخار

الجنين ص بچه که اندر شکم مادر بود

ای لا ینزعج

وهذا حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار
قوت سنة لعياله ~~ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر~~
وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى عن الادخار
في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلالا والله اعلم بالصواب

الكتاب السادس في المحبة والشوق والرضى والانس

اعلم ان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة لله تعالى
مقام الا وهو ثمرة من ثمارها كالشوق والانس والرضى واخواتها
ولا قبل المحبة مقام الا هو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر
والزهد وغيرها وانكر بعض العلماء امكانها وقالوا لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل
ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وسائر
لوازم الحب وتوابعه واعلم ان الامة مجتمعة على ان
الحب لله ولرسوله فرض كيف يفترض ما لا يوجد له وكيف له
وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وان
يتقدم الحب ثم يطيع ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله
يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وقد جاء

رسول الله

المحبة

الشوق هيجان للقلب عند ذكر المحبوب

١٢٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ
قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون
الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي
رواية ومن نفسه وقد قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره الى قوله تعالى احب اليكم
من الله ورسوله الاية فان ذلك جرى في معرض التهديد
وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد
للفقر وقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وعن سري
السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانبيائها عليهم السلام فيقال
يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد الا المحبين لله فانهم
ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله فتكاد قلوبهم تنخلع
فرحا وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك
كن لي محبا وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم
اخلق جنة ولا نارا لم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى صلوات الله
على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة

فقال لهم تخلوا فاخفتم وتخلوا فارجوتم ومرّ بقوم اخرين كذلك فقالوا
نعبده حبًّا له وتعظيمًا لجلاله فقال انتم اولياء الله حقًّا معكم امرت
ان اقيم وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط
اجرًا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل والعلم ان
اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى واصل الحب
لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب
واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك
ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع
الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فكمال الحب في ان يحب
الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة
بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله والى هذا التفريد
والتجريد الاشارة بقوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
وبقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك
لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه
و هر چه محبوب است معبود است
معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو
مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
وقال صلعم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال صلعم من قال
لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص

قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود
قلبه ومقصود قلبه ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له
عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب
فبقدر ما انس بالدنيا انتقص انسه بالله ولا يعوضه احد شيأ من الدنيا
الا وينقص بقدره من الآخرة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق
الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره فالدنيا والآخرة ضرتان
وهما كالمشرق والمغرب والثاني قوة معرفة الله تعالى واستيلاؤها
على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا
وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من
الحشيش ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة
الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليه
الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب المعرفة
والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لها وكالخادم وانما العمل
الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته
فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فانما يراد
للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر والاول يوصل الى المعرفة بعد
انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا الفكر الصافي والذكر الدائم
والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وصفاته

وقول واليه يصعد
الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه اشارتست
بوانچه كلمه طيبه معرفتست
وعمل صالح جزو خادم آنست

وملكت سواك وسائر مخلوقاتي وانما يصلون الى هذه الرتبة المرفوعة
ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره والضعفاء يكون
اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول
الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله
شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك
فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثانية الاشارة
بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض واليه اكثر دعوة القران وهذا الطريق هو الاسهل
على الاكثرين فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك
واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى بقدر
يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له واعلم ان المؤمنين
مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة واكثر الناس
ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء قد تلقفوها وحفظوها
وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها
ولا معنى فاسدا بل امنوا بها ايمان تصديق وتسليم واشتغلوا بالعمل
وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون
هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى
حال الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك

من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين
فنزل من حميم الاية واعلم ان عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة
الالهية في غاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق فصار
ظهوره سبب خفائه كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
لا لخفائه واستتاره ولكن لشدة الظهور فان بصر الخفاش ضعيف يبهره
نور الشمس اذا اشرق فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا
لامتناع ابصاره فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن
ابصار البصائر وعن ... بظهوره فالناس في طلبهم معرفة كالمذموم
الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا حماره وهو يطلب حماره
والجليات اذا كانت مطلوبة صارت معتاصة فافهم هذا
الامر فتحقق ولذلك قيل لقد ظهرت فلا تخفى على احد
الا على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا
فكيف يعرف من بالعرف استترا وما اتضح للعارفين من الحضرة الالهية
وان كانت في غاية الوضوح فكانه في قلة تحقيق فلا يكون
متضحا غاية الاتضاح فان كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق
التجلي لا يكون الا في الاخرة وبعد الموت لا نهاية لها وانما
انكشف لكل عبد من العباد بعضها وقال بعضهم في الاول
يارب يا الله فاجعل ذلك اثقل علي قلبي من الجبال الثر النداء

يكون من وراء حجاب واهل رأيت حليسا ينادي جليسه وقال
اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالجنون لخروج
كلامه عن حد عقلهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين
كلهم وصله ولقاءه فقط فان الجنة معلق تتوق اليها نفوس القلب
فلذتي في لقاء الله وليت شعري من لم يتنعم الحب الا بالمحسوسات
كيف يومن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة وشكل
فمن عرف الله عرف ان اللذات المتفرقة بالشهوات المختلفة
كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم شعر كانت لقلبي
اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي فصار يحسدني من
كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي تركت للناس
دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ولذلك قال
بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وفي اخبار
داود صلوات الله تعالى ان الله تعالى اوحى اليه انك تحبني وحبها لا يجتمعان
في قلب وروى انس بن مالك عن النبي صلعم انه قال اذا احب
الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم
تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه
قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره
الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران

الذنب

الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى
يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وكان الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ يحبهم ويحبونه قال
بحق يحبهم فانه ليس في الوجود غيره وقال بعض المريدين
لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك
محبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا فقال لا تطمع في المحبة
فانه لا يعطيها حتى يبلوه واعلم ان من بقي حتى الى
متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل ينبغي ان يترك المحب هوى
نفسه لهوى محبوبه كما قيل اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد
لما يريد وقيل وما تركت ما اهوى لما قد هويته ولا رضي بما ارضى
وان سخطت نفسي قال موسى يا رب اين انت فاقصدك
فقال اذا قصدت فقد وصلت واوحى الله الى داود صلوات الله عليه
قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل
محب يحب لقاء حبيبه ها انا موجود لمن طلبني ومن علامة
المحبة الشفقة على جميع عباد الله والرحمة عليهم والشدة على
اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا ياخذه لومة لائم ولا يصرفه

عن الغضب لله ما عرف واعلم ان الحب سر من اسرار الله
فينبغي للمحب ان يكتمه ويجتنب الدعوى واظهار الوجد والمحبة
تعظيما للمحبوب واجلالا وهيبة منه وغيرة عليه الا اذا غلب
سكر الحب فانطلق اللسان واضطرب الاعضاء لا يلام فيه
صاحبه حكي ان رجلا رأى من بعض المحبين ما استجهل فيه
فاخبر بذلك معروف الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون
صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم

بيان رضا

واعلم ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهي من اعلى مقامات
المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين قال النبي صلعم اذا
احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
قال من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه
بالقليل من العمل وقال طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان رزقه كفافا ورضي به وفي الاخبار السالفة ان نبيا
من الانبياء شكى الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين
فما اجيب اليه ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي
في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق
لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق السموات والارض
الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل

ماقدرت

ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق
ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة اخرى
لامحونك من ديوان النبوة وينبغي للمريد ان يكون عند نفسه
اخس منزلة من ان يرى جميع الناس الذين في حقه بل
يرى نفسه اخس من ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته
روي ان عيسى صلوات الله عليه قال لبني اسرائيل اين ينبت
الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا ينبت الحكمة الا
في قلب مثل التراب **حكاية** حكي ان شابا عظيم القدر من اعيان
اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا
يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر واقوم الليل لا انام ولا
اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به
واحبه فقال ابو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت
من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فهل لهذا
دواء قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمله
قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع
هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا
واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته
جوزة واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة
ايا

وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على
ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد
قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك
فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره
فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه فقال قد قلت
لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل
بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض
دواء سوى هذا او امثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر
امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض
بمثل هذا المرض اصلا ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا

حكاية

ببعض المريدين وكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته
ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد
اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد
هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله تعالى
فاغناني عن ابي يزيد فقال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي
فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان
انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى
من قوله وانكره فقال وكيف ذلك قلت له ويلك انما ترى الله

عز وجل

[غير مقروء] عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله
فيظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر
قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة
وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على
ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق
فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي
نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن
في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق
عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك قال الجنيد
رحمه الله حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال بعضهم
المحبة عبارة عن معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلب عن ادراكه
ويمتنع اللسان عن عبارته وقال ذو النون رحمة الله عليه قل لمن
اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل معاملة المحب على
اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها
التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل
الجنة ويرفع عنهم غيرهما اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه
لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي
الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي

الغيضة بالغين والضاد المعجمتين

بإرادة هذه الإرادة في المدبرين عني فكيف الإرادة في المقبلين
عليه وعن علي بن ابي طالب رضه قال سالت رسول الله صلى
الله صلعم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل
ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله عز وجل انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي
والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني
في الصلوة وقال ذو النون رحمه الله سبحانه من جعل الارواح
جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا
الى الله تعالى وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة
وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا والله اعلم بالصواب

الكتاب السابع في النية والاخلاص

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على
معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل
فالعلم تقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته
والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل
حركة وسكون اختيارية فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة
وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه ولا يعمل ما لا يريده

العمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير
وان تعذر العمل بعائق وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان
يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله
فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا لياخذ سلبه وحماره
فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وقال عم اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وقال عم
نية المومن خير من عمله فمعناه نية المومن خير من عمله الذي
هو من جملة الطاعة التي كل واحد منهما اثر في المقصود ولكن اثر
النية اكثر من اثر العمل واعلم انه ما من شيء من المباحات
وينال بالنية معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل
عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة قال
النبي عليه السلام من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب
من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن
من الجيفة فالتطيب لله ان ينوي اتباع سنة رسول الله عليه السلام
يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم بيت الله فلا يرى ان يدخلها
زائرا لله الا طيب الرائحة وان يقصد به دفع الروائح الكريهة

بقتيل

عن نفسه التي تودي الى ايذاء مخالطيه وان تقصد به حسم
باب الغيبة على المغتابين بالروايح الكريهة فمن تعرض لمعصية
وهو يقدر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل شعر
كما ترحلت عن قوم قد قدروا ،، ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقال
الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم اشارة الى ان التسبب الى الشر شر والتطيب لغير الله تعالى
هو ان يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او
يقصد به الرياء للخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم وامور اخر
لا تحصى فيصير معصية فيه يكون انتن من الجيفة في القيمة
~~ولما قصد ... يكون ذلك معصية فيه يكون~~
~~انتن من~~ واما قصد التنعم والتلذذ فانه مباح
ولا يكون ذلك معصية الا انه يسال عنه ومن نوقش في الحساب عذب
ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن
ينقص من نعيم الاخرة له بقدره وكان علماء الدين لا يريدون
ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم ان النية روح الاعمال وان العمل
بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب
وعلموا ان النية ليس هو قول القايل نويت كقول الشبعان
نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت

ان اعشق فلانا او احبه بل النية انبعاث القلب يجري
مجرى الفتوح من الله تعالى قد تيسر في بعض الاوقات وقد
يتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه
في اكثر الاحوال احضار النية في الخيرات فان قلبه مايل الى
اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا
وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد
جهيد فربما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته
ونيته ونيات الناس في الطاعة اقسام فمنهم من يعمل خوفا من
العذاب ومنهم من يعمل رغبة في الجنة والعامل لاجل الجنة
عامل لبطنه وفرجه ودرجتها درجة البله واما عبادة ذوي
الالباب لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وجلاله
رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون
مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى الشبلي في المنام وقيل ما فعل
الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول
واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي
خسارة اعظم من خسران لقائي ورأى ابو يزيد ربه في المنام
فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال

بيان الاخلاص

واعلم ان الاخلاص تخليص العمل عن الشوايب كلها قليلها

حمد وغيره زيد ببغداد ان يحرزوا مانعا ورحل غير واحد بن حنبل ... (margin, partly illegible)
بكونه عظيم
تكرار
على قول
ان

ويكرهها فالخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من الله تعالى
وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى بحيث لم يبق لمحبة الدنيا
في قلبه قرار حتى الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه
كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة وتقويته
على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع فلا يكون له الا الله
فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص
العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه
ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين والذي
يغلب على نفسه حب الدنيا والعلو والرياسة فلا يسلم له عباداته
وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس
وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك
على القلب فحينئذ يتيسر له الاخلاص وكم من اعمال يظن انها
خالصة ويكون فيه مغرورا ولا يدري وجه الآفة فيه كما حكي
عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد
في الصف الاول لاني تأخرت يوما بعذر وصليت في الصف الثاني
فاعترتني خجلة من الناس الذين في الصف الاول كان نظرهم
وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض
فقلما يسلم الاعمال عن امثاله والغافلون عنه يرون حسناتهم

في الآخرة

في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بما قال الله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله وبدا لهم سيئات ما عملوا وقوله قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان
الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع
والاستبشار بالحمد والثناء قال السوسي الاخلاص فقد رؤية
الاخلاص وما ذكره تصفية العمل عن العجب وقال سهل
الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه
كلمة جامعة محيطة بالغرض وقال رويم الاخلاص في العمل
هو ان لا يريد صاحبه عوضا في الدارين وهذه اشارة الى ان
حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس
بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه
الله وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق
فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى
الحظوظ العاجلة وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من
يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالوهية
وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا بالبراءة عما يسميه الناس
حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ

عليه
المطلق

لجمال المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله وهذا حظ
سواء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وسئل بعض الاولين
والاخرين عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم
تستقيم كما امرت ان لا تعبد الا ربك وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى
الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا واعلم ان الافات
المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية ولا يفهم اختلاف
درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال وهو ان المصلي مهما كان
مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول
الشيطان له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين
الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن
اطرافه ويحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر فاذا لم يلتفت المصلي
اليه ويستمر في صلاته كما كان يأتيه في معرض الخير فيقول
انت متبوع ومقتدى به فلك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك
الوزر ان اساءت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك
في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وهو ايضا
عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى ذلك خيرا لا
يرتضي تركه لنفسه في الخلوة والملاء والمقتدى به هو الذي
استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فاما هذا

محض

محض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو
فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به
ولو احسن صلوته في الخلوة ليحسن في الملا لظهر الناس
فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه مشغول الهم بالخلق في الملا
والخلاء جميعا والاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة
الخلق واحدا واعلم ان الاخلاص قلما يستيقنه العبد من
نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا
مترددا بين الرد والقبول بعد كمال الاجتهاد خايفا ان يكون
في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخايفون
من ذوي البصاير ومع هذا لا ينبغي ان يترك العمل عند خوف
آفة الرياء فان ذلك بغية الشيطان منه اذ المقصود
ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع الاخلاص
والعمل جميعا وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا
البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال
البر الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله
ليته لا لي ولا علي وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم
ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص
الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص

فتجدد عليه قضاء الحوائج واستعفى الشيخ بن شيبان عن ذلك
فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر
اعماله فيتركها فقال له ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع
المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص
فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اترك العمل وانما اخلص
العمل **واعلم** ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان
في القول والنية والعزم والوفاء بالعزم والعمل وتحقيق
مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق
ومن كان له حظ من الصدق في شيء من جملة فهو صادق
بالاضافة الى ما فيه صدقه الاول صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه وفيما يتضمن الاخبار
يدخل الوفاء بالوعد وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا
يتكلم الا بالصدق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز
عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب
وذلك انها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم
الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما يمس
اليه الحاجة في بعض الاحوال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه
الى سفر ورى بغيره وذلك لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء وليس هذا

وانما قلت قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء والعمل لاجل الخلق شرك

بيان الرخصة في نطق الكذب لمصلحة الدين

من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين
اثنين ومن كان له زوجتان ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين
ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا
يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير
فمهما صح قصده وصدقت نيته كان صادقا وصديقا ثم التعريض
فيه افضل وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة
وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع
عليه وقولي ليس ههنا فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز
عن صريح اللفظ وعن المعاريض الا عند الضرورة والكمال الثاني
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه
كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان كان قلبه
منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله
اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية
وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا فانه ان كان
عبد النفس او عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله فكل ما تقيد العبد به
فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا عليه السلام
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة
سمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله عز وجل

من عتق إذا عن غير الله فصار حراً مطلقاً فاذا صار
القلب فارغا خلصت فيه العبودية لله وتقيّد ظاهره وباطنه
بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد تجاوز هذا الى مقام الذي
يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو
ويقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد فيفني ارادته في ارادة الله
وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حراً ثم عاد وعتق عن نفسه
فصار حرا وصار مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده ومولاه ان حركه
تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه اعتراض
بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهي
الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه
وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات
الصادقين الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى
الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله تعالى فان مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق
النية قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد الصدق
الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل
فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره
او عزم في نفسه ان لقيت عدوا قاتلت في سبيل الله ولم ابال

فان

فان قلت وهذه العزيمة قد تكون جازمة صادقة وقد يكون
في عزمه نوع تردد يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا
عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة فقد يطلق
الصدق ويراد به هذا المعنى فالصديق هو الذي يصادف عزيمته
في الخيرات قوية تامة ليس فيها تردد وهو كما قال عمر رضي الله عنه
لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم
ابوبكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم انه لا يتأمر مع وجود
ابي بكر الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو
بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم فاذا حقت الحقائق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة
ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل نزلت في مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان
صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال ابو سعيد الخراز رأيت
في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء
بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال
وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه

لا يتصف هو بين الناس بترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الي تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرنا من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف علي هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قايما بين يدي الله تعالي وهو في الباطن قايم في سوق من شهواته وكذا يمشي الرجل علي هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الي الخلق مرائيا ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره فاختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلعم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهي الله تعالي به الملائكة يقول الله هذا عبدي حقا وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس له واذا نهي عن شي كان من اترك الناس

له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه الصدق السادس في تحقيق مقامات الدين وهو اعلي الدرجات كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور فالتحقيق في هذه الامور غايات لهذه المقامات حتي ينال الصدق تمامها ولكن كل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له والله اعلم بالصواب

الكتاب الثامن في المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسكم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم بالمرابطة ست مقامات الاولي المشارطة واعلم ان العقل هو التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بها فلاحها قال الله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة فيحتاج الي مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الي طريق الفلاح ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس

المراقبة …

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلعم رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق …

المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ف
هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى
مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس
لهم كثير فلا يغفل عن التضييق على النفس في حركاتها وسكناتها
وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة
نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنوز الكنوز لا يتناهى
نعيمها ابد الاباد فانقضاء هذه باطلة او مصروفة الى ما يجلب

بيان المشارطة

الهلاك خسران عظيم فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس ويقول للنفس
مالي بضاعة الا العمر وهذا اليوم جديد قد امهلني الله تعالى
فيه ولو توفاني لكنت اتمنى ان ترجعني الى الدنيا يوما حتى
اعمل فيه صالحا فهبي انك توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك
ان تضيعي هذا اليوم فقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل
يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة
فيراها مملوءة نورا من الحسنات التي عملها في تلك الساعة
فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار
التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار
لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة

اخرى

اخرى سوداء مظلمة يفوح منها نتنها ويتغشاه ظلامها
وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول
والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها
ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه
وهي الساعة التي نام فيها او اشتغل بشيء من مباحات
الدنيا فيتحسر على ما فاته من الربح الكثير والملك الكبير في تلك
الساعة اذا امهله وتساهل فيه وقد قال بعضهم هب ان
المسيء عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به
الى الغبن والحسرة وقد قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
ذلك يوم التغابن ثم استانف لها وصيته في الاعضاء السبعة
العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وان
ان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين
تلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيحفظها كما يوعظ
العبد المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعة
فلا تكاد تجري مجراه اول مقام من مقامات المرابطة مع النفس
وهو محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة بعد العمل وتارة قبله
للتحذير وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا قبل ان تحاسبوا وزنوا
قبل ان توزنوا وتهيؤوا للعرض الاكبر وقال عليه التحية والسلام

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان
اي حاسبها المرابطة الثانية المراقبة اعلم ان حقيقة المراقبة
هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه ونعني بالمراقبة حالة
للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح
وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب الرقيب واشتغاله
به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة
التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضماير
عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس
بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر
البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك والموقنون بهذه
المعرفة هم المقربون ومراقبتهم التعظيم والاجلال وهو ان
يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة
فلا يبقى فيها متسع للالتفات الى الغير اصلا وهو الذي
صار همه هما واحدا فكفاه الله ساير الهموم ومن نال هذه
الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر
عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وصارت
جوارحه مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف

بيان المراقبة

الاولى

وقد قال عبد الواحد بن زيد هل رايتم في زمانكم هذا رجلا
قد اشتغل بحاله عن الخلق قال لا اعرف الا رجلا سيدخل عليكم
الساعة فما كان الا كان سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له
عبد الواحد بن زيد من اين جيت يا عتبة قال من موضع
كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق
فقال ما رايت احدا ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري
وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره
شيء فقال له من اين اخذت المراقبة والسكون فقال
من سنور كانت لنا اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر
لا يتحرك لها شعرة فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال
والتعظيم واما مراقبة الورعين من اصحاب اليمين فهم قوم
غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم لكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة
للالتفات الى الاحوال والاعمال وانهم يرون الله في الدنيا
مطلعا عليهم ولا يحتاجون الى انتظار القيمة ويعرف اختلاف
الدرجتين بالمشاهدات ومن كان في مراقبة الورعين فيحتاج
ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطواته ولحظاته وجميع
اختياراته قال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان

احوال

ابن زيد حكايت

عتبة الغلام

زاهد

الدنيا

الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال والدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين

فقال له كيف فعلت بالعلم تحقيق او تجهيل وظن فان سلم
من هذا فسئل الثالث وهو مطالبة الاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله
وفي قولك لا اله الا الله فيكون اجرك عنه ام عملته ليقال انك عاملا بذلك فقد دفعناه
ام عملت بشهوة غفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان علم

له اخفى وان كان عليه تاخر وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة الطين
باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي الخبر انه ينشر للعبد في
كل حركة حركاته وان صغرت ثلثة دواوين الديوان الاول
لم والثاني كيف والثالث لمن فعلى العبد ان يراقب نفسه
عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم والسعي
حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس
فيتقيه فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع لعقد ثمن
الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث الجزم والجزم يورث
الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم
مادة الشر من منبعه الخاطر الاول فانه يتبع جميع ما وراءه
تبعا ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة وعجز
عن الاجتهاد والفكر بنفسه فليستضئ بنور علماء الدين
وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان
فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسأل عني عالما
اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي فلذلك معرفة الريب اولا في احكام العلم او في طلب
عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ومعرفة آفات

الافة

الا فقد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا
هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة
من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي
هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي
مقصوده دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين
وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه المرابطة
الثالثة محاسبة النفس بعد العمل قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه
اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال واعلم ان العبد
كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيها على نفسه على
سبيل التوصية بالحق ينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة
يطالب النفس فيها ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما
يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصا على الدنيا
وخوفا من ان يفوتهم منها فلو حصلت لهم لكان لا تبقى الا اياما
قلائل فكيف لا يحاسب العاقل فيما يتعلق به خطر الشقاوة
والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا من الغفلة والخذلان
وقلة التوفيق نعوذ بالله منه فقد نقل عن بعضهم انه كان يحاسب نفسه
فحاسب يوما واذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي صوم

أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة فصرخ وقال يا ويلتي
ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب كيف
وفي يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى المرابطة
الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها وهما حاسب المرء
نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية لا ينبغي ان يهملها فانه لو اهملها
سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان
ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة
بشهوة ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا اكل لقمة شبهة
بشهوة نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنعها عن
شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة وقال حذيفة
بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما في
الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن
السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب
فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وهو في بيته على
التراب فقال يا داود عذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم
ترى ثواب من كنت تعمل له المرابطة الخامسة المجاهدة وهو
انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان

يعاقبها

وعسر عليه صح

تسجن صح

بالعقوبات التي مضت وان رآها توانى بحكم الكسل في شيء
من الفضائل او ورد من الاوراد ينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها
فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان
يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض
قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته صلاة في جماعة
احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان
فاعتق رقبتين وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة
او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله وكل ذلك مؤاخذة النفس
بما فيه نجاتها وينبغي ان يطلب صحبة عبد من عباد الله
مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به الا ان هذا علاج
قد تعذر اذ فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد
الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء
انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم دخل رجل على داود
الطائي فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن
اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف
وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام
وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين

بتثقيل

من غدوة الي العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العين لينظر بهما العباد الي عظمة الله عز وجل فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم وعليهم غبرة الخاشعين وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسير لي اذ ملت الي شجرة لاستريح تحتها فاذا الشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام علي وجهه فاتبعته فسمعته يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملاء قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضي وتركني

المرابطة السادس في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء

ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالي بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الي ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفل ساعة عن مراقبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل بوعظ نفسك اوحي الله تعالي الي عيسى صلى الله عليه يا عيسى ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالي وذكر فان الذكري تنفع المومنين والله اعلم بالصواب

الكتاب التاسع في التفكر

اعلم ان التفكر والتدبر والتأمل عبارات متلازمة علي معني واحد ليس تحتها معاني مختلفة والفكر مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وشبكة للعلوم ومصيدة المعارف والفهوم وقد امر الله تعالي بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع واثني علي المتفكرين فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس ان قوما تفكروا

الالوان

الذبل والذبول

مترادفة

في الله فقال النبي عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا
تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال ابو حاتم من العبرة
يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف

اعلم ان ثمرة الفكر هي العلوم والاحوال والاعمال
ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا تغير حال القلب
تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم
والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات
كلها وانه خير من الذكر لان الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب
خير من عمل الجوارح فاذن الفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك
قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة واذا اردت ان تعرف
كيفية الحال بالفكر فاعلم ان بالفكر يعرف ان الآخرة
اولى بالايثار وانها ابقى فاذا رسخت هذه المعرفة
يقينا في القلوب تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال
القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها
والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير
الحال وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال
الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فاذا

تقدروا

اولى

اراد

140

اراد ان يكتسب لنفسه حالة التوبة والندم فليفتش ذنوبه
اولا وليتفكر فيها ثم لينظر في الوعيد الذي ورد فيه وليحقق
انه متعرض لمقت الله حتى ينبعث له حال الندم
واذا اراد حال الخوف فلينظر حال الشكر فلينظر في احسان
الله واياديه عليه واذا اراد حال الخوف فلينظر
في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم في الموت وسكراته وجميع ما ذكرنا
... الخوف واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر
الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها
وطلبها الى ... وجميع الرجا واذا اراد حال المحبة والشوق
فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك
النظر في عجايب حكمته وبدايع صنعه والمترقي ينبغي ان
يكون مستغرق الوقت في الافكار حتى يعمر قلبه ... بالاخلاق
المحمودة والمقامات الشريفة ويتنزه ظاهرا وباطنا عن
المكاره واعلم ان هذا مع انه افضل من ساير العبادات
فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب
الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق
القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله
فيكون مستغرق الهم بالمحبوب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك

ان يستثير من قلبه

من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات فان ظهر
شيء قبل ذلك كان مدخولا معلولا لا وكان ضعيفا
كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم فان الصفات المذمومات
لا واعلم ان ما ذكرناه نوع تفكر في عمارة القلب ليصلح
للقرب والوصال فاذا صلح [illegible] في اصلاح نفسه حتى
يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يلقى في البوادي
ليصح حاله في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك
فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية
مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه
عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح
واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري
مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها
لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في التزيين
كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فكذا ينبغي ان تفهم
طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت
كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجر
فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة
اقوام آخرون واعلم ان الاشكال الالهية كثيرة والارض

وما عليها

كلدرا مقطوعام

ذكرناه

حالي

وما عليها بالاضافة الى [illegible] ملكوت السموات اقل
المخلوقات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم فالشمس
على ما ترى من صغر جرمها في الفلك مثل الارض مائة ونيفا وستين
مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر
الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه
لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة
الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة
في فلاة والكرسي كحلقة في العرش لذلك فالتفت هذا بالاضافة
اليه بل ما احقر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال صلعم
الارض في البحر كالاصطبل في الارض والكواكب التي تراها اصغرها
مثل الارض ثمانية مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة
وعشرين مرة مثل الارض فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة
فيها والى سرعة حركتها في لحظة يسير مقدار عرض كوكب
وذلك الكوكب مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام
وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل صلوات الله عليه
اذ قال له النبي صلعم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف
تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت

١٤١ الجرم الا

الشمس مسيرة خمسمائة عام وهذا نظر الى ظاهر الاشخاص
من حيث المقادير لا الى كثرة معانيه بل بالنسبة لعالم الارض
الى عالم السماء لا الى كبر جسمه ولا الى كثرة معانيه الا اكثرت
من معرفة عجايب صنع الله كانت معرفتك بجلال الله وعظمته اتم والله اعلم بالصواب

الكتاب العاشر ذكر الموت وما بعده

الكتاب بوردي الكلم

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب
لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكره
كرهه ويفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون والناس اما منهمك واما تايب مبتدي او
عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره
ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت
من الله تعالى بعدا واما التايب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث
به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت
خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح
الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله
صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس
يكره الموت ولقاء الله انما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء

قبل

الحبيب

المنتهي

الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقاء على وجه يرضاه فلا يعد كارها
للقاء وعلامة هذا ان يكون دايم الاستعداد له سواه ولا الحق
بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دايما لانه
موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقاء وهذا في غالب
الامر يستبطي مجي الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين
وينتقل الى جوار رب العالمين وهذا معذور في حب الموت
وتمنيه واعلى منها رتبة من فوض امره الى الله فصار
لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبه
الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم
والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت
ثواب وفضل فان المنهمك يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا
اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على
الانسان من اللذات والشهوات فهي من اسباب النجاة وقال

حكايت

سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة العقول لاهلها وحكي
انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني
وفي طرف كسائه شي مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك
قال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليه فقال
يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا اكلمك

إلا قال فأغلق في وجهه الباب وقيل للحسن يا أبا سعيد
ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك واعلم
أن الخلق في الأمل يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي
ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم
من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر ومنهم من
يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه ومنهم من يرجع
أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وقال عيسى صلوات الله عليه
لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فسيأتي أرزاقكم
مع آجالكم فلا تهتموا الآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة
كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك
بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من يكون
الموت نصب عينيه كأنه واقع به وهو منتظر هذا الإنسان هو الذي
يصلي صلاة مودع وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا
يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان قدح من ماء عند الموت
فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون
علي سكرات الموت وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم
الموت ما لم يبعث من قبره واعلم أن المحبب عند الموت

من حضور المحتضر هو الذكر والسكوت ومن لسانه أن يكون
ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى
راجيا غفرانه قال صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح
جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى
قد نزلت به ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب
وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلعم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن
إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف واعلم أن
زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور
الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلعم
نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيه فقد روى علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة للآخرة غير أن لا تقولوا
هجرا وقال عليه السلام من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له
وكتب برا وعن ابن سيرين أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما
فيكتبه الله من البارين وقال عليه السلام من زار قبري فقد
وجبت له شفاعتي والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر

القبلة مستقبلة الوجه الميت وان يسنّم ولا يمسح القبر ولا
يقبّل ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى وكان محمد بن
واسع يزور يوم الجمعة ~~ويوما قبله ويوما بعده~~ فقال
بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما
بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس
علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة
وقال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي
وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم
عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم ليقل يا فلان بن
فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه
يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فانه يقول
ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت
عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك
رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن
اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا
عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال
رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء

فيقول لو اخرت الى الاثنين

احدكم

فانه

وقال انس بن مالك مرّوا بجنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاثنوا عليها شرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت ومرّوا باخرى فاثنوا عليها
خيرا فقال وجبت فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال ان
هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا
فوجبت له النار انتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني القوم الثناء
يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم اني قد قبلت
شهادة عبادي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي ولما
قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون
على الجواب فهذا نص في بقاء روح الاشقياء وبقاء ادراكها ومعرفتها
وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للقبر ضغطة لو سلم ونجا منها احد لنجا سعد بن معاذ رضي الله عنه
وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله عليه السلام فساءنا حاله فلما
انتهينا الى القبر فدخله عليه السلام التمع وجهه صفرة فلما خرج

الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي بياض ليس
بالناصع والنقي عن القشر والنخالة ولا معلم اي ليس بها بناء يستر ولا تطلق
ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل ما شاء وبها لا بني آدم فسبحان
من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض
وسائقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى
والرادفة هي الثانية ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم على
الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن
وانس ووحش وشيطان وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وتبدلت عما كان عليها من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس
العالمين قاب قوسين ولم يمكن من الاستظلال الا ظل عرش
رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربين فقال
عقبة بن عامر قال رسول الله صلعم يدنو الشمس من الارض
يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه
ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم
من يبلغ فخذيه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه

اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأيناك حزنت شانا فمم ذلك قال
ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت انه
قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين
رأى ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب
ابنته ومثل هذه المشاهدة المطلع فيها لغير الانبياء والاولياء
الذين يقرب درجتهم منهم واما الممكن من امثالنا المشاهدة
في المنام وهو ايضا من انوار النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فلذلك ما يوثق
لا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لا تصدق رؤياه
وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله
في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت
السماء ونزل ملكان بيد احدهما طشت وبيد الاخر ابريق فوضع الطشت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يديه ثم امر فغسلوا ثم وضع
الطشت بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على يديه
فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك
قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله اني احبك
واحب هؤلاء الفقراء فقال صلعم صب على يده فانه منهم وقال
المسوحي رايت ابليس في النوم فقلت لا تستحيي من الناس

فاشار بيده فالجمها ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه
هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان منهم
من ينادي ويقول يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار
ولو الى النار وقال كعب وقتادة في قوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقوم مقدار ثلثمائة عام قال عبد الله بن
عمرو تلا رسول الله صلعم هذه الاية ثم كيف بكم اذا جمعكم الله
كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال
الحسن ما ظنك بقوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة
لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم
عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من
عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من تكرم على مولاه ليشفع في حقهم
فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعني نفسي نفسي شغلني
امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله
قالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يوذن له
فيه اذ لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
قولا وقال رسول الله صلعم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال
والذي نفسي بيده ليخفف على المومن حتى يكون
اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد
ان تكون من اولئك المومنين ما دام يبقى لك نفس من عمرك
فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام
طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهي
سبعة الاف سنة ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما تتوجه عليك
من السوال شفاها من غير ترجمان عن القليل والكثير
والنقير والقطمير وتيك الابتدار بالسوال يظهر نور العرش
واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار
لمساءلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احدا سواه وانه المقصود
بالاخذ والسوال دون من عداه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملكا بين شفري عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بنفسك
اذا شاهدت مثل هولاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام
العرض وترتعد على عظم شخصهم وهم مكرمين لشدة اليوم متشمرين
لما بدا من غضب الجبار على عباده فيبدأ بالانبياء يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فهم في ذلك الوقت ما يدرون اذا طارت فيه العقول وانمحت
العلوم الى ان يقويهم الله فيدعى نوح صلوات الله عليه فيقال

من ه

ما بين ه

لياخذوك الى ...

كلهم ه

هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون
ما اتانا من نذير ويوتي بعيسى صلوات الله عليه ويقول الله تعالى
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى
متشحطا هيبة هذا السوال سنين فينادي الملك واحدا
واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض فعند ذلك
يرتعد الفرايص ويضطرب الجوارح ولو انك متغير دالعالم عليك
من شدة الهول مظلم ثم ترى نفسك وانت بين يديه حتى
انتهوا بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله عز وجل
بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت بقلب خايف محزون
وجل وطرف خاشع ذليل واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصيها فلست شعري باي قدم تقف بين يديه وباي
لسان تجيبه واي قلب تحقق ما تقول قال تعالى فلنسئلن الذين
ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وعن انس قال يوتي
بابن ادم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل
به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي
فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وقال انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا

ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من
بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من
اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار ان يدخل
النار وعنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف
وانما ياتي الله عراة بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله
عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق
قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله
خاصة المغفرة اليه اسرع ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم
وردا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون
فالناس بعد هذه الاحوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود
على متن النار احد من السيف وادق من الشعر من استقام
في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا
ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار تعثر
على الصراط وتردى وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلعم
يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف
الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملايكة يقولون اللهم سلم ومن
الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يسعى سعيا

ومنهم من يمر كالفرس المجري

ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف
زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون
فاما ناس فيؤخذون بذنوبهم وخطايا فيحترقون فيكونون فحما
ثم يؤذن في الشفاعة الحديث واعلم انه اذا حق النار
على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل
فيهم شفاعة الانبياء والصديقين وكل من له عند الله تعالى جاه
بحسن معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه
ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك
بان لا تحقر ادميا اصلا فان الله خبأ ولايته في عباده فلعل الذي
تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى
خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر اصلا طاعة
فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة
الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وروي عن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقول عيسى صلوات الله عليه ان تعذبهم فانهم
عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي وبكى فقال الله عز وجل
يا جبريل اذهب الى محمد فاسأله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله اعلم به

تلا

فقال

فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك واعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص
الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ومن
صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال رسول الله بينما
انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب
الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وروي ابن عمر رضي الله عنه لما نزل
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه حافتاه من ذهب شرابه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من
المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان ثم تفكر الى مورد كل
ذلك الخبر ان الناس مورد الجميع اذ قيل وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فانت من
الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول
ذلك المورد واهوالها نفسي تستعد للنجاة بالتشمير اما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة
النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة
نعليه وفي بعض الاخبار ان نار الدنيا غسلت بسبعين مائة

١٤٠

افترقا

من مياه الرحمة حتى اطلع فيها اهل الدنيا بل صرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصفتها واخبرهم فقال اوقدت تلك النار
الف سنة حتى احمرت ثم اوقدت تلك النار الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلعم
اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا
فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف اشارة
الى ان حر الصيف وزمهرير الشتاء من نفسها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلعم شفته السفلى ساقطة الى سرته والعليا
قالصة قد غطت وجهه قال مالك ابن انس قال زيد بن اسلم
في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال
صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة
كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل
الجنة خلود يا اهل النار خلود لا موت ثم تامل في درجات اهل
الجنة وكراماتهم فقد سئل رسول الله صلعم عن قوله ومساكن طيبة
في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دار
من يا

من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير
سبعون فراشا من كل لون وعلى كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون
مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى
غلام
المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما ياتي على ذلك اجمع وقال جابر قال رسول الله صلعم
الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا
من اصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من
النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال قلت يا رسول الله ومن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام
الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال
امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رده فقد افشى
السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن
صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء
الاخيرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام اليهود والنصارى
والمجوس وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم ان حائط الجنة لبنة من ذهب
ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك اقبل اعرابي فقال يا رسول الله
قد ذكر الله في القران شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله

تعالى وسدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم يتفتق الثمر
منها عن اثنين سبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه من اخر وقال سلمان
لجرير بن عبد الله تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه [illegible] م القيمة
هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ
عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود
قلت يا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم
على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها آنيتهم وامشاطهم ولا يتغوطون
من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ
ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلعم
في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ان عليهم التيجان ان ادنى
لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين
السماء والارض وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها
ويشربون وقال لاصحابه ان اقر بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

